روايات احلام
www.elromancia.com

مرمورية

أمانى

روايات احلام

أماني

دقت ساعة الخطر... وكانت أماندا في أسوأ لحظات ضعفها، فهل ينقذها الإغماء بين يدي العملاق الذهبي؟

... أدركت أماندا هاموند الممثلة الشهيرة أن الحب قد غزاها من أول نظرة، وكانت هدية الحبيب الأولى... صفعة؟ فماذا ستكون هديته الأخيرة؟ وماذا ستفعل أماندا عندما تنتهي لحظات السعادة القصيرة بطرفة عين لتكتشف أن سيد قلبها هو لغيرها ولم تملك منه إلا تمثالاً بلا روح؟

قالت له: اتركني وكرامتي يا كيڤن... فقد سلبت مني كل شيء آخر! فهل أراحها هجران كيڤن لها؟ لا... فبعد أن فقدت كل شيء، أصبحت كرامتها الآن هي المهددة بالضياع!

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ سيد الشمس

ـ كايس قلت لك اكتفيت.

كان الجو في مؤخرة السيارة التي يقودها السائق متوتراً، وهذا كل ما يقال.. وكانت الجميلة أماندا هاموند تلتف بمعطف من الفراء السميك ورغم التدفئة المركزية في السيارة كانت ترتجف، أما كاسدي لايتبون فحاول جهده الظهور بمظهر المستريح المطمئن على أمل أن تؤثر تصرفاته في الممثلة الجالسة قربه فينجو من غضبها.

تابعت أماندا وهي ترتجف:

ـ أريد الذهاب إلى منزلي لأستحم.. أريد أن أغسل لمساته القذرة عن بشرتي!

ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم أردفت همساً:

ـ لا أستطيع تحمل المزيد اليوم.

قال كايس بطريقته المصطنعة:

ـ إنها المرة الأخيرة، يا حلوتي.

نظرت إليه باستغراب! ألا يكفي ما تعرضت إليه اليوم على يدي ذلك الحقير لتغيير برنامج اليوم؟.

ـ اتركي كيڤن لوكهارت الدمث يلتقط لك صوراً جميلة ثم بعد ذلك اذهبي إلى منزلك وانقعي جسدك بالحوض، وانسي كل شيء لشهر كامل! فكري في الأمر.. ساعة واحدة من ابتسامات أماني الحلوة، وينتهي

التصوير . . وإلا اضطررت يا حلوتي لمرافقتي غداً.

لاحظت أماندا بمرارة أنها ورقته الرابحة، فلدى كايس دائماً ورقة رابحة . . إنه قادر على قضاء تسعة وتسعين بالمئة من حياته وهو يلعب دور الأبله ولكن ذاك الدور هو ما هو إلا غطاء يخفي وراءه قرشاً آكلاً للحوم البشر في داخله . . ولهذا كان كايس من أنجح العاملين في دنيا الفن.

إنما هذا لا يعني شيئاً لأماندا هاموند في هذه اللحظات . . إنها غاضبة ومتكدرة بحيث لا تهتم بمن يكون كايس . . ارتدت إليه بغضب:

ـ ألا تفهم؟ لا أستطيع تحمل المزيد! ولن أطيق معاملة سيئة أخرى اليوم!

سارع كايس يقول:

ـ لكن لوكهارت رجل هادىء! هادىء وبارد . . بارد! إنه لا يخاشن السيدات مثل كارتر، ولا يلمسهن إلا مضطراً. إنه عبقري في عمله . . لكنه يكره من يصورهن . . يكرههن. لذا لن يلمس بشرتك المسكينة التعسة!

ـ لست ممن يصورهن.

ـ يا الله! لا . . أنت ممثلة جميلة . . لكن الأمر سيان بالنسبة إليه يا حلوتي . . أنت سيدة جميلة خلاّبة . . وجمالك أشبه بجمال من نسج الخيال . . وهذا ما لا يستطيع لوكهارت تحمله . . إنه لا يطيق النساء الجميلات ومع ذلك يلتقط لهن صوراً رائعة.

تنهدت بنفاد صبر:

ـ وماذا لديه ضدهن؟

ـ زوجة . . زوجة سابقة، عملت موديلاً له، وهي فائقة الجمال!

وقبل أصابعه الأنيقة لزيادة التركيز.

ـ أتذكرين سوان كورتيز . . ؟ لوكهارت هو الذي اكتشفها ودربها وزينها وجملها، ثم تزوجها والتقط لها أروع الصور، ودفعها لتحلق فوق القمة. ثم راقبها وهي تنقلب عليه يوم جاء الرجل السمين ليعدها

بالنجومية في عالم السينما! أما لوكهارت فلم يسامحها قط بل لم يسامح جنس النساء كله، خاصة النساء المتألقات . . ولكنه أمهر العاملين في حقل مهنته. لديه قدرة غريبة على إظهارهن أجمل وأبهى . . آه! لا أقصدك أنت، حلوتي!

وأرسل لها بسرعة إحدى ابتساماته السخيفة:

ـ لا يمكنه تحسين ما هو كامل . . تعرفين هذا!

ـ آه! أصمت كايس . . أنا غاضبة وأشعر بالقرف والضجر . . ولكنني لست حمقاء! أفهم كل هذا.

ـ آه حقاً؟

وبدا أن مشاعره جرحت! يا للشيطان اللعين يعرف بالضبط ماذا يفعل، إنه يلعب على شفقتها.

ـ قلت سوان كورتيز؟

هز رأسه إيجاباً.

سبق أن سمعت أماندا بها . . بل من لم يسمع بها؟ في وقت ما كانت صورها تعمّ جميع إعلانات مستحضرات التجميل تقريباً . . أما الآن فلا تُرى صورها. عبست وحاولت أن تتذكر متى توقف وجه الجميلة سوان كورتيز عن الظهور على صفحات المجلات . . كان لها تلك الجاذبية السوداء الشهية التي تضعف الرجال . . لا عجب إذن أن يكره كيڤن لوكهارت النساء! فكرت أماندا بمرارة . . هل هناك من تستطيع أن تخلفها؟

حذرت كايس بطريقة توحي بالقبول:

ـ لا تجرؤ على تركي لحظة كايس!

ارتفعت يده ووعدها قائلاً:

ـ أعدك!

ابتسمت أماندا رغم انزعاجها.

قرأت نص آخر فيلم لكارتر كرمى لكايس فالمخرج الأميركي الشهير

www.elromancia.com

سميتي كارتر كان قد طلبها بالاسم ويومذاك قال لها كايس إنه لا يمكن إغضاب رجال من هذا المستوى في مهنة الفن، ولم يخطر ببالها إلا بعد فوات الوقت ما نوى ذلك الخليع العجوز فعله حين شدها فوق الأريكة وبدأ يسيء معاملتها.. كادت تضحك على مدى سذاجتها.. فقد كان عليها أن تحزر نواياه في تعابير وجهه الجائعة.. ولكنها لم تنتبه. ولا شك أن الإرهاق النفسي والجسدي أخمد أحاسيسها.. يا للغرابة لقد وقعت في فخ قديم العهد! سخرت من نفسها بمرارة. الحمد لله لأن كايس كان قريباً فأنجدها من موقف لعين..

قرأ كايس أفكارها ككتاب مفتوح:

ـ انسي أمر كارتر.. إنه شخص منحط.. يظن أنه هبة السماء للنساء.. يعاني من عقدة نفسية.. يجب أن يهتم به أحد.. لا يمكنه المضي هكذا.. فهو يحسب نفسه زير نساء، ولكنه لم يعد كذلك.. لأنه لا يستطيع أن..

ـ اصمت كايس!

ـ آه!

لقد جرحت مشاعره مرة أخرى:

ـ.. أجل.. بالتأكيد.. لم أفكر.. لم أقصد..

كررت بوضوح هادىء: اصمت.

نجحت هذه المرة في إسكاته فنظرت إليه برضى وتجهم، وحاولت يائسة جمع ثقتها بنفسها لمواجهة المحنة القادمة في التصوير.

ـ وصلنا.

وعت أماندا ما يحيط بهما بدهشة خفيفة ظهرت على وجهها حين كانت السيارة تلج بين بابين خشبيين نحو ما بدا لها قصراً خاصاً.

إنه قصر قديم يعود طرازه إلى العهد الفيكتوري فهو مبني من الحجارة الحمراء، ونوافذه قرميدية اللون قائمة، وسقفه مثلث هائل.. بدا لها

مسكن كيڤن لوكهارت مكاناً مريحاً.. ثم لمحت أرجوحة معلقة في شجرة إجاص قديمة في مؤخرة المنزل.

ووقف باحترام ينتظر نزولها، فسحبت نفساً عميقاً ودفعت أطرافها المترددة وضمت معطفها حولها تاركة الياقة المرتفعة تخفي شعرها الأشقر الطويل.. والحقيقة أن بشرتها الشقراء الرائعة أخفت حقيقة ذعرها الذي جعل الدم يجفّ من عروقها.. بدت كما هي.. مميزة جداً، ناجحة جداً، وشابة جميلة جداً. من يعرفها يلاحظ اشتداد عضلات فكها الصغير والتعب في عينيها الزرقاوين المشعتين.

ارتفعت إحدى أصابع كايس الطويلة الأنيقة فضغطت زر الجرس.. الذي أعقبه نباح كلب من الجهة الأخرى للباب ووقع أقدام ونبرة تأنيب.. ثم انفتح الباب إلى الداخل فظهرت امرأة عجوز نحيلة صغيرة الجسم، فضية الشعر وجهها يشبه وجه عمة عجوز عزيزة.

ابتسمت لأماندا بلطف: «آنسة هاموند؟»

هزت أماندا رأسها مبتسمة، ففتحت العجوز الباب ورفعت بصرها إلى كايس ولكن ملامحها تغيرت ما إن رأته وراحت تنظر إليه بذهول:

ـ حسناً.. رأيت كل ما يمكن دخوله من هذا الباب.. لكنك أيها الشاب تنتصر عليهم جميعاً.

كبتت أماندا رغبة في الضحك.. كايس رجل طويل رشيق القوام نحيل.. أرسل لها ابتسامة مشرقة ساحرة. وقال: «شكراً لك».

ودخل إلى الردهة وهو ينظر إلى الكلب الضخم بكره.

هز الكلب رداً على كراهية كايس فراءه الأشعث، ونظر إليه بازدراء.. ثم نبح نباحاً بدا لأماندا نباحاً ساخراً.. وجلس في أسفل الدرج بتكاسل.

قالت المرأة: «مشغل التصوير في الأعلى.. لاكي!»

دفع الصوت الباتر رأس الكلب إلى الارتفاع ولكنه عاد فأخفضه وتابع

تكاسله. صاحت العجوز مجدداً:

ـ ابتعد عن الطريق أيها الكلب العجوز الغبي!

ولكنه لم يطعها فتجاوزته ساخطة ولكن ما هي إلا لحظات حتى تعالى عواؤه فقد وقعت صفعة قوية على مؤخرته، ثم ارتدّ ليلعق اليد التي ضربته وتوجّه إلى فناء المنزل الخلفي.

عاد الوجه اللطيف إلى سابق عهده وارتدت العجوز إليهما:

ـ اصعدا إلى الطابق الأول ثم توجها شمالاً على طول الرواق.. في الطرف الآخر ستريان باباً مزدوجاً، اقرعاه ثم انتظرا حتى يأذن لكما بالدخول.. لن أرافقكما وإلا غضب السيد كيڤن.

كانت ابتسامتها شريرة، ثم ابتعدت في الجهة التي ذهب الكلب إليها. عندئذ فقط لاحظت أماندا تصلب ساق المرأة الذي كان يجبرها على العرج.. وفكرت أن السبب التهاب المفاصل.

تمتم كايس: مكان رائع.

وأشار لأماندا أن تتقدمه صعوداً على السلم العريض.

كان الرواق الذي أشارت إليه العجوز طويلاً ومهيباً. جدرانه مغطاة بلوحات أصلية قديمة موضوعة في إطارات ذهبية ضخمة عليها رسمات لوجوه متجهمة تنظر بتعالٍ للمارين بها.

أهم أسلاف كيڤن لوكهارت؟

هذا أمر غير مشجع فقد بدا معظمهم قادراً على القيام بعمل مشين..

أعادت الفكرة إليها صورة سميتي كارتر الخبيث، فأبعدتها عنها بقرف.

بعدما قرع كايس الباب وان صمت طويل، ثم انفتح أحد البابين إلى الداخل فظهر رجل في حجم عملاق له أغرب عينين صفراوين رأتهما أماندا.. يا إلهي! إنه إله الشمس الوثني وقد تجسد أمامها!

إنه رجل طويل يزيد طوله عن ستة أقدام وثلاث إنشات.. يخالط شعره الأسمر البني خصلات ذهبية وهو كث ناعم يلتف حول وجهه

الوسيم.. قسماته الشبيهة بصخر منحوت بدقة، تُظهر رجلاً تشكل شخصيته تحذيراً لكل قادم.. كما يقال: قوة فكر وجسد. كان يحيط بعينيه الغريبتين رموش ذهبية أما أنفه فكان متشامخاً إنما ليس كثيراً وكشف فمه عن حساسية موجودة فيه في مكان ما.. وإلا ما كان ليكون المصور المبدع الذي هو عليه الآن.

بدت بشرته تبرق كالذهب المصقول وقد ظهرت بوضوح للعيان من فتحة ياقة قميصه..

أخذ ينظر إليها ببرود وراح يجيل بصره فيها من رأسها إلى أخمص قدميها ولكنه ما لبث أن صرف النظر عنها وصب اهتمامه كله على كايس.

ـ لقد تأخرت!

وصوته ذهبي أيضاً يثير الاضطراب.. في غضبه يزأر كالأسد.

رفع كايس يديه باستسلام: «آسف.. آسف».

دلت تعابير وجهه عن أفضل ما عنده ليظهر بمظهر الأبله:

ـ اضطررنا للتأخر.. وقع أمر مزعج في الموعد الأخير.. أماندا غاضبة وأنا غاضب وأنت غاضب! إنه يوم الغضب.

راح كيڤن ينظر إلى تعابير وجه كايس المدّعي بعينين ضيقتين، ثم وجه خطابه لأماندا:

ـ أتشعرين بالبرد أيتها السيدة؟

انتفضت أماندا فارتفع بصرها إلى كيڤن لوكهارت بدهشة.

أضاف ببرود: «ألعلك لا ترتدين تحت جلد هذا القط البري شيئاً؟ إذا كان الأمر هكذا فمن الأفضل أن أحذرك أنني لا أتعامل مع العراة.. حتى لو كان الشخص امرأة مغرية مثلك».

قاطعه كايس الذي حرّك إصبعه تحت الأنف المتعجرف:

ـ أيها المزعج! من لديه كاميرات غالية الثمن لا يرمي الإهانات جزافاً.. إنه سوء تصرف ينقلب عليك وعلى الجميع..

أمسكت أماندا ذراعه: «فلنذهب من هنا كايس».

وارتدت على عقبيها تعود على الطريق التي دخلت منها. ما تنويه كان جلياً للرجلين. لن تبقى هنا لتتلقى الإهانات من هذا المتعجرف.. فليستخدم كايس لسانه الأملس ما شاء له ذلك.. لكنها اكتفت!

ولكن كان لكايس أفكار أخرى وظهر في عينيه بريق خطير وهو يمنع رحيلها بإدارتها لتواجهه وتواجه كيڤن لوكهارت الكريه.. أمسكت يده بيدها الباردة التي تضعها على ذراعه.

ـ فلندخل.. أهذا ممكن؟

أعلمتها لمسته أنه يعي مشاعرها وأنه هنا ليدعمها.. رفع بصره إلى عيني الرجل الآخر بسرعة حاسمة، ثم دخلا إلى قاعة ضخمة جدرانها بيضاء ونوافذها زجاجية.. رأت على كل قطعة من أرضها آلات غالية الثمن.. وعلى الجدران ظهرت صور قديمة وحديثة وكأنها جناح في مسرح، سقفها كسقف مسرح.

كانت زاوية واحدة في الغرفة فارغة وليس في هذه الزاوية إلا منصة مرتفعة قليلاً تضيئها عدة أنوار، وحولها ثلاثة أشخاص مشغولين بعمل ميكانيكي. إما للإضاءة، وإما في معدات التصوير الفخمة.. أقفل الباب المزدوج خلفهما، وأحست أماندا بعودة محنتها الداخلية.. كان الأجدر بها ألا تتعرض لما تعرضت إليه اليوم.

ـ أسدلوا الستائر.

هبّ من مكانه شاب شبه أقزع بضع نظارة سميكة لينفذ الأوامر.

ـ اخلعي هذا المعطف أيتها السيدة.

وكان هذا الأمر لأماندا.

ـ حركي الكاميرا الكبيرة.. اديث.

كانت الكاميرا الكبيرة مثبتة إلى رافعة وإلى هناك توجهت فتاة نحيلة تحركها عبر جهاز سيطرة آلي.. ثم أشار لوكهارت إلى كايس:

ـ أنت.. اخرج عن مدى نظري، وأنس أنك هنا حتى أذكرك أنا بوجودك.. المعطف أيتها السيدة.

صححت له ما يقول دون أن تتحرك: آنسة هاموند.

نظرت إليه باستخفاف بارد مسمّرة اياه في مكانه ونظر إليها وكأنه يراها للمرة الأولى.. شخصاً حياً يتنفس.

كررت ببطء متعمد:

ـ آنسة هاموند.. أنا إنسانة لي اسم ولست آلة.

ران صمت مفاجيء على الغرفة.. نظر إليها خلاله كيڤن لوكهارت بعينين صفراوين ضيقتين راحتا تنظران إليها بتحد.. امتد الصمت المتوتر حتى بدأت أذناها تطنان.

انطلق شيء ما كالشرر بينهما، شيء جعلها تنتفض في أعماقها ولكنها رفضت هذا الشعور.. ثم اشتد اللون الأصفر في عينيه فقد شعر هو أيضاً بتلك الشرارة التي لم يرغب فيها أيضاً.. ثم انحنى مستهزئاً ولسعت سخريته بشرتها الشديدة الحرارة.

قال ببطء ورقة:

ـ آنسة هاموند.. هلا نزعت معطفك رجاء؟

إنه أميركي.. في تلك اللحظة فقط أدركت أنه أميركي.

ـ لا أنكر أنه معطف جميل.. ولكن عليك أن تفترقي عنه وستقوم اديث على حراسته لك بحياتها.. ألن تحرسيه لها يا عزيزتي أديت؟ ثم ستعيده إليك لاحقاً سالماً.. آنسة هاموند.

أجفلتها لهجته الساخرة فالتفتت إلى كايس تتوسل إليه بصمت أن يخرجها من هنا قبل أن تذل نفسها إما بالاستسلام إلى الغضب أو إلى الإجهاش بالبكاء.

ابتسم كايس لها.. وهي ابتسامة تبدو للجميع سخيفة ملؤها الخنوع.. لكن أماندا رأت الرسالة في عينيه، وارتفع ذقنها.. كانت تلك

النظرة تقول: أنت ممثلة فابدئي عملك وأظهري لهذا الخنزير المتعجرف حقيقة معدنك!

خلعت المعطف وتركته ينسدل عن كتفيها.. فسارعت أديث بنظرها الثاقب تلتقطه قبل أن يقع أرضاً.. ووقفت أماندا جامدة، وعيناها تنظران مباشرة إلى العينين الذهبيتين الغريبتين.. ولم يظهر شيء مما يعتمل داخلها إلا في ارتعاشة ثغرها الرقيق.

كان فستانها من الحرير الخالص، أحمر اللون يلتف برقة حتى خصرها حيث تنسدل بلطف تنورة طويلة.. كان فستاناً بسيطاً وأنيقاً، طويل الأكمام، مستدير الياقة.. بعد ابتعاد المعطف عنها بان طول شعرها الأشقر الشاحب الذي انسدل على كتفيها.

تمتم العملاق الساخر:

ـ حسناً.. أنا لم..

وصمت تاركاً فمه يأخذ انحناءة جانبية إلى الأعلى أما عيناه فمرتا بها بمكر.. سبق أن رأت مثل هذه النظرة على وجه سميتي كارتر قبل أن يرمي بثقله عليها.. تنحنح كايس بصوت مرتفع كأنه يذكرها أنه موجود معها.

قال الصوت الكريه:

ـ كرسي للآنسة.. هاموند.

وبدأت نبضات أماندا تخفق بعنف.. فجأة عمّت الغرفة الصامتة الحركة فقد هبّ الجميع ليطيع أوامر لوكهارت وكادوا يصطدمون ببعضهم بعضاً وهم يتسارعون.. أما هي وهو فوقفا جامدين لأن شيئاً ما بينهما كان يحدث.. شيئاً قوياً وخطيراً. كانت نظراتهما متشابكة كأنهما في معركة ولكنها لم ترد الاعتراف بالمعركة.. فما هو الوقت أو المكان المناسبين، ولا هو الشخص الذي تريد أماندا أن تتشارك معه مثل هذا التجاذب القوي.

فرش الصبي ذو النظارة السميكة الأرض بورق أبيض. أما الشاب الآخر فتقدم ليضع مقعداً ذهبي اللون فوقه.. فجأة انكسر التوتر المثير لأن

كيڤن لوكهارت نقل عينيه من أماندا لينظر بنفاد صبر إلى المقعد ثم صاح بصوت أجفل الجميع:

ـ ليس هذا! بول، ألم تتعلم شيئاً في السنتين اللتين أمضيتهما معي؟ لا يمكنك حجب الجمال بإجلاسه على عرش ذهبي.. الذوق والتواضع أيها الرجل! واترك ما تبقى للإضاءة.. الإضاءة!

تمتم المسكين التعس الحظ بول: «أجل كيڤن».

ـ الإضاءة قبل الديكور.. الجمال الطبيعي قبل مساحيق التجميل.. تذكري هذا اديث.. ضعي فراء القط البري من يدك، وابحثي عما تمشطين بها شعرها.

رمت الفتاة الفراء وسارعت تفتش عن الفرشاة.. أما هو فأردف:

ـ لامسي خدبها بشيء من الألوان.. إلا إذا تمكنا من جعلها تتورد مجدداً.. وهذا ما أشك فيه. فالآنسة هاموند على ما يبدو ليست ممن تتورد وجنتاها خجلاً بسهولة.

ضحك الجميع ضحكة مصطنعة، أما أماندا فعبست وانشغلت بتهدئة غضبها وقاومت لتحتفظ برباطة جأشها ولتتعامل مع موجة الجاذب غير المتوقعة التي اختبرتها للتو تجاه هذا العملاق الكريه. قالت لنفسها: أنت تبالغين وتستجيبين للعدوانية بسبب ما جرى لك مع كارتر.

ـ كارل! الإضاءة الأولى والثانية والخامسة، لون وردي ناعم.. الثالثة والرابعة والسادسة ليلكي شاحب.

التفت إلى أماندا:

ـ آنسة هاموند بعدما تنتهين من إعطاء الانطباع بأنك تمثال رخامي، سأكون شاكراً لك إن جلست على الكرسي لتتمكن أديث من العناية بشعرك.

جاء صوت الفتاة الهادىء قرب أذنها: من هنا آنسة هاموند.

تحركت آلياً إلى الكرسي، أما كيڤن فتحرك بنشاط حي وركّز

الكاميرات عليها وألقى أوامره على صبي الإضاءة فتغيرت ملامح المكان كلياً.

شعرت بدوار كان سببه صدمة متأخرة ولكن أماندا استجابت للأوامر التي كان يلقيها كيڤن من وراء دائرة الأنوار.. سبق أن مرت بعدة تجارب تصوير واستمتعت ببعضها، لكن ما تمر به الآن هو كابوس حقيقي.. أوامر قاسية ونرت أعصابها وجعلتها تصرّ على أسنانها، ثم وجدت ويا للهول أنها غير قادرة على الحراك.

تنهد كيڤن عندما فشلت في الوقوف كما أراد:

ـ ليس هكذا.. ليس هكذا! أنت ممثلة! ألا تستطيعين التحرك بحسب الأوامر؟ أريدك هادئة جليلة ولا أريد أن تظهري بمظهر التلميذة المذهولة العينين التي توشك على التعرض لمحنة مخيفة!

راقبته عبر دوار ضبابي وهو يمرر يده في شعره البني الأشقر ويشده بإحباط ساخط، ثم دنا منها وقفز إلى المنصة، ووقف يشرف عليها وكأنه وحش ذهبي من الماضي.

بدأ العرق يتفصد من بشرتها، وأحست ببرودته تتسلل إلى ظهرها وتبلل جبينها..

عبثت يداه الكبيرتان بشعرها وهذا ما سمح للخصلات الحريرية بالانزلاق بين أصابعه.. تصلبت أماندا ولكنها تمسكت بسيطرتها على ذاتها.. لن تسمح لنفسها بالانهيار أمام هذا الرجل! لن..

ـ شعر رائع.. من هو مصفف شعرك؟

أخبرته.

ـ فنان ذكي.. أليس كذلك؟ تركيبة الألوان ممتازة.. يصعب على المرء أن يعرف أنه مصبوغ.

ظلت أصابعه في شعرها تدلك جلدة رأسها عندئذ شعرت بأنها ستصرخ.. قالت بصوت جاف لأن فكها لم يسترخِ:

ـ كايس.. هل أنت هنا؟

ـ أنا هنا حلوتي.. استريحي واجلسي كالولد العاقل كما قال الرجل.

ـ إذن هل تسمح بأن تقول له هذا.. قل لهذا المهرج الأعمى أن يبعد يديه عني!

ارتفع صوتها تدريجياً وارتفع معه جسمها إذ نهضت من المقعد تريد الابتعاد.

قاطعها كيڤن لوكهارت مقطباً:

ـ أرجو عفوك.. أيتها السيدة؟

صرخت: «قلت.. أبعد يديك عني! أبعدهما!»

الذعر الذي شعرت به منذ ساعة في شقة كارتر صدمها الآن بقوة.. ثم سمعت نفسها تقول بصوت مخنوق غريب: كايس!

ثم تلاشى كل شيء.. فقد أطبق كل شيء من حولها ولفها ظلام من العذاب.

***

٢ ـ الغزو الذهبي

هبطت يدان رقيقتان لطيفتان لتمسكا بكتفي أماندا.

ـ مهلك.. مهلك قليلاً.

كانت ترتجف كورقة في مهب الريح، تجاهد لئلا تفقد وعيها ولكنها شعرت بأن ساقيها رخوتين كالمطاط.. أنزلها كيڤن لوكهارت ببطء إلى الكرسي، ثم لاحظ نظرة الخوف الأعمى على وجهها الأبيض من فرط الشحوب..

أردف بصوت هادىء وعميق:

ـ أنت.. كايس، أو مهما كان اسمك.. ما بها بحق الله؟

تلاشت تصرفات كايس الخنوعة، وما هي إلا لحظة حتى ركع أمامها وأمسك بيدها:

ـ إنها صدمة متأخرة.. آسف حلوتي. ما كان يجب أن أضغط عليك.. يمكننا القيام بهذا في يوم آخر استريحي لحظة أماني لأرافقك إلى المنزل.

حاولت بيأس تمالك نفسها:

ـ اللعنة عليه كايس.. ذلك القذر النا..

قاطعها كيڤن لوكهارت حانقاً:

ـ هل تتكلم عني؟

قال كايس: بل عن سميتي كارتر.. أماني حبيبتي.. لا تعذبي نفسك

بالتفكير فيه! تذكري بدل ذلك كيف لكمته على وجهه وستجلب لك تلك الذكرى البسمة!

سأل العملاق ساخطاً وحائراً:

ـ عم تتكلم بحق الله..؟

تجاهله كايس: ستظل عينه سوداء عدّة أيام.. تصوري ذلك السافل اللعين وهو يحاول تفسير ما أصابه!

أخيراً فهم كيڤن لوكهارت:

ـ أحاول سميتي كارتر الاعتداء عليها؟

استقام غاضباً فشعرت أماندا بأنها تفتقد لمسته على كتفيها.

قال كايس ساخراً:

ـ وعلى الأريكة.. لا أكثر ولا أقل! في جسمها كدمات تؤكد هذا!

فقد الصوت الذهبي رقته:

ـ أديت! قولي للعمة روزي أن تعدّ فنجان شاي قوي وحلوى للآنسة هاموند.

إذن السيدة العجوز هي عمة أحدهم! لم تتمالك أماندا نفسها من الضحك، فضحكت وضحكت حتى فقدت القدرة على التوقف، ولكن هذه الضحكة الحادة انتهت فجأة كما بدأت بيد قوية لامست وجنتها بلمسة لاسعة.. عندئذ شهقت ونظرت بعينين مجروحتين إلى كيڤن لوكهارت العابس ثم تحوّل بؤسها إلى أعماقها.

التفت ذراعان قويان حولها ولامس خد لطيف شعرها، ثم شعرت أنها ترتفع عن الكرسي وتضم إلى صدر الرجل الصلب.

شهقت باكية: لقد ضربتني!

ثم أفسدت التأنيب بدفن وجهها في عنقه، عندئذ انسدل شعرها كسنارة حريرية على كتفه.

ـ كنت مضطراً.. وأنا آسف.

www.elromancia.com

- أكره الرجال.

سخر بلطف: «كلهم؟»

عندما سار بها شعرت بجسمه يبعث اضطراباً غريباً فيها.. تمسكت به بشدة وقالت بصوت مختنق:

- أحس بالقذارة.

- إنها ردة فعل.. ولكنك ستكونين أفضل حالاً بعد فنجان شاي من صنع العمة روزي.

هذا ما جعلها تضحك مرة أخرى، فانتفض كيڤن ظناً منه أنها ستعود إلى تلك الضحكة الهستيرية، لكن ضحكها توقف بمفرده تاركاً إياها مرهقة تحس بالتعب.

كانا يتحركان في الرواق المليء بالصور، لكن أماندا تركت وجهها مدفوناً في الفردوس الدافىء تشعر بقوة رجولته وبخفة حركاته وهو يحملها فقد كان يحملها وكأنها بوزن ريشة.. مرا تحت مدخل له قنطرة يفضي إلى الجناح الآخر في المنزل ثم نقلها إلى غرفة، وهناك شعرت بأنها تنخفض على شيء طري. ثم وقع غطاء دافىء عليها فارتدت على جنبها ومدت يدها واحتضنت وسادة ضخمة وتكور جسمها كطفل يسعى إلى الراحة.

سمعت كايس يفسر ما حدث.. ثم انفتح الباب وتغير المزاج في الغرفة فوراً.

- ماذا تفعلان هنا؟

سمعت أماندا صوت قعقعة صينية وضعت على طاولة صغيرة، ثم غار الفراش إلى جانبها وامتدت ألطف وأبرد يد فمسحت صدغها.

قالت العمة روزي: «يا للعزيزة المسكينة».

ثم ارتدت بحدة إلى العملاق:

- ماذا فعلت هذه المرة لتصل هذه المخلوقة المسكينة إلى هذه

الحالة؟

رأت أماندا إجفال كيڤن بسبب الاتهام، لكن الرد جاء حاداً:

- لماذا صعدت الدرج؟

لكن العمة وبخته بقسوة:

- لا ترفع صوتك في وجهي أيها الشاب! فلست عجوزاً وهذا ما تعرفه!

ارتدّت إلى أماندا:

- ماذا فعل بك عزيزتي؟ هل صاح بك.. هل؟

شهقت أماندا باكية: «ضربني».

وأدارت خدها الأحمر لتراه المرأة وشعرت بالمتعة بما تفعل.

قست عينا العمة روزي كالرخام أما كيڤن فنظر إلى أماندا وكأنه يراها قد جنت.

ارتدت العجوز إلى الرجل الضخم:

- كيڤن! أشعر بالخزي والعار بسببك!

غطت يدها الحنون خد أماندا:

- ألا يكفي أنك تتصرف بوحشية مع كل فتاة تدخل إلى هنا، ثم أراك الآن تلجأ إلى ضرب هذه المسكينة، هذا كثير.. كثير جداً!

- كانت مصابة بهستيريا..

- لا عجب أن تصاب بها ما دمت أقدمت على ضربها.

صاح ساخطاً:

- اللعنة! كان ذلك قبل أن أضربها.

قاطعتهما أماني بخنوع:

- إنه يقول الحقيقة. قال.. قال إنني أصبغ شعري.. فغضبت ثم تكدرت، فضربني.

سمعت كايس يتمتم وهو يكبت رغبة في الضحك:

ـ كفي أماني . . أنت ممثلة ماهرة، لكنك لست ممن يستدر الشفقة.

ـ لقد . . نعت . . معطفي . . بأنه قطة ميتة! و . . واتهمني بأنني أسير عارية تحت المعطف.

أدانته العمة روزي:

ـ صدمتني أيها الولد . . هل من شيء آخر؟

صاح كيڤن: «رباه».

نظرت إليه العمة روزي أما أماندا فأخفت ابتسامة رضى، وعادت العينان اللطيفتان الماكرتان العجوزتان إلى أماندا . . وسألت بلطف:

ـ والآن هلا شرحت لي لماذا صفعك كيڤن؟

سرعان ما عادت الدموع إلى العينين الزرقاوين فدنا كايس منها، متمتماً:

ـ لا تبكي أماندا . . إنسي الأمر . . أنتهى كل شيء. لن يقترب كارتر منك ولو عن بعد عشرين خطوة.

وجدت أماندا أنها مدفونة في صدر ناعم حنون . . وسمعت العجوز تُبعد الرجلين عن الغرفة، ثم استسلمت إلى بكاء تقليدي على صدر عمة قديمة الطراز وراحت تقصّ القصة المؤسفة كلها وهي تبكي . . فشعرت ويا للغرابة بالراحة. عندما توقف نحيب أماندا قالت العمة:

ـ حان وقت الشاي . . خذي انفحي أنفك أولاً.

دفعت إلى يدها منديلاً ورقياً. ثم انشغلت بسكب الشاي، بعد ذلك قدمت كوب الشاي إلى أماندا وعادت إلى الجلوس.

ـ إذن . . جئت إلى هنا والغضب والثورة يتفاعلان في أعماقك ثم نفّست عنهما في وجه كيڤن.

ارتفع رأس أماندا التي برقت عيناها الزرقاوان:

ـ إنه مغرور لا يطاق ومتعجرف متسلط!

ربتت العجوز على كتف أماندا مؤنبة:

ـ كيڤن؟ إنه وديع كالحمل! فهو أشبه بلعبة دب ضخمة . .

بدت كدجاجة تدافع عن صوصها. اضطرت أماندا إلى كبت رغبة بالضحك . . من الغريب أن ترى سيدة عجوز صغيرة القد تدافع عن مخلوق ضخم الجثة . .

هبّت العجوز زامّة الشفتين وبدأت بترتيب صينية الشاي، ثم ارتدت إلى أماندا وابتسمت وقد تلاشت العدوانية عن وجهها . . الواضح أن العمة روزي تقول ما في قلبها ثم تنساه.

ـ لا شك أنك راغبة في ترتيب نفسك . . الحمام من ذلك الباب . . عندما تجهزين توجهي إلى غرفة الجلوس فهناك ستجدين كيڤن وصديقك . . استديري إلى اليسار من الباب الآخر، إنها الغرفة الثانية إلى اليمين.

خرجت العمة روزي تاركة أماندا بمفردها، وشعرت بشيء من الغباء بسبب تصرفها، فبعدما فكرت في الأمر تنهدت وقالت لنفسها: يا إلهي أماني! عندما تقررين التخلي عن شيء لا تتركين شيئاً وراءك!

استلقت على الوسائد تنظر إلى ما يحيط بها لأول مرة. إنها غرفة نوم جميلة . . طابعها رجولي بدون أدنى شك . . يغلب عليها اللون البني والعاجي ويتملكها بين الحين والآخر لمسات من لون أحمر دافىء . . كانت مستلقية بين أغطية من الكتان الناعم، ألوانها مزيج من تلك الألوان والظاهر أنها أختيرت على شكل أنياب حادة . . ذات التصميم يكرر نفسه على أحد الجدران، ثم بدا مرة أخرى بين الأثاث الناعم.

إنها غرفة لطيفة . . جلست أماني وراحت تمرّر أصابعها في شعرها غير المرتب . . فكرت: أحتاج إلى حقيبتي، ثم عبست لأنها تذكرت أن حقيبتها ومعطفها في مكان ما . . بدا لها الحمام المكان المناسب لتجد مشطاً.

عندما حاولت النهوض عن السرير، أدركت مدى كبره . . يجب أن

يكون هكذا.. تصورت الرجل الذهبي متمدداً عليه وشعره أشعث وهو نائم.

رفضت الصورة وهبّت من السرير بحدة ورأسها يدور... إنها غرفة كيڤن لوكهارت.. وهذا سريره.. تمتمت مرة أخرى: يا إلهي أماني! مررت راحتي يديها العرقتين على جنبيها.. فقد عاد الخفقان الذي شعرت به في الاستديو مرة أخرى بقوة مهاجمة، ولكن في المرة الأولى كانت مشاعرها مشوشة بالكراهية بسبب ما جرى لها مع سميتي كارتر.. أما الآن فالأمر مختلف.. هزت أماندا نفسها بعناد وتهرّبت من أفكارها بالإسراع إلى الحمام.

بعد عشر دقائق، وجدت أنها تقف مترددة أمام الباب الذي أشارت إليه العمة روزي. ما زالت تشعر بالبلاهة.. بل أكثر من هذا، وهي الآن مضطرة لمواجهة من شهد فقدانها لرباطة جأشها وسمعت الأصوات المتناهية من وراء الباب المقفل.

كان الرجلان جالسين وهما يتحدثان بهدوء حول فنجان قهوة.. ولكن ما إن دخلت حتى توقف الحديث والتفت الرأسان لينظرا إليها بإمعان، عندئذ سيطرت على تورد كاد يجتاح وجهها كتلميذة وتوجهت إلى الداخل لتنظر حولها بفضول لئلا تنظر إلى العيون الشاخصة إليها:

ـ هل أنت بخير أماني؟

طالما أذهلها كايس الذي يتحول بسحر ساحر من رجل سخيف إلى رجل متحضر كفؤ في لمحة عين.. وقف فبدا لها أطول بكثير من كايس الآخر الذي يبلغ طوله ستة أقدام ولكنه قادر إن شاء أن يظهر نفسه وكأنه أقصر ببضع إنشات.

ابتسمت له بتردد: شكراً لك.. أنا بخير الآن.

اقتادها إلى مقعد شاغر.

نظر كيڤن إليها بتفرس وكأنه يحللها ولكنها لم تستطع أن تنظر إليه،

فذاك التجاذب الذي شعرت به غريب وقد عاد إليها ما إن وطئت قدماها أرض هذه الغرفة.. لكنها أقنعت نفسها بأن ما تشعر به عائد إلى الصدمة، فالأميركيون الذهبيو العيون ليسوا من طرازها.

قال كايس: «اتفقت مع كيڤن لنعود غداً أماني.. لن يستغرق الأمر إلا ساعة من بعد ظهر الغد.. وبعدها لديك عطلة..».

ـ آه! لا.. أرجوك!

أن تقضي أربعاً وعشرين ساعة في ترقب للعودة إلى هنا ولمواجهة كيڤن مرة أخرى، لأمر مرعب.. وهي تعرف أنها حتى الغد ستنكمش وتقشعر كلما تذكرت أحداث اليوم.

ـ تعرف أنني سأبدأ عطلتي غداً! ألا يمكن تأجيل التصوير حتى عودتي؟ أو فلنته منه الآن؟ أنا بخير الآن.. حقاً.. لا مانع عندي..

قال كايس: «لا أقدر على التأخير شهراً.. فالمجلة التي رتبت لكل هذا بحاجة إلى الصور في نهاية هذا الأسبوع.. وقد أسدى كيڤن لهم معروفاً كبيراً عندما قبل تصويرك في مدة قصيرة».

قالت بحزم: «إذن لننتهِ من الأمر الآن».

أنهى كيڤن النقاش:

ـ لا.. لا مانع عندي آنسة هاموند.. لدي كل الوقت، لكنني أتساءل عما إذا كنت قادرة على العمل وأنت بهذه الحال.

طمأنته قائلة:

ـ أنا على ما يرام.. حقاً.. بل أشعر بأنني تصرفت بشكل سخيف.

قال ببطء: «تركت العاملين معي ينصرفون إلى بيوتهم».

راقب وجهها بمكر وحدة:

ـ إذا عملنا الآن، فأنت مضطرة لتحملي بمفردي.. وتحمل اهتمامي المزعج.

تورد وجه أماندا لأنه ذكرها بأحد الأوصاف التي نعتته بها أمام عمته.

وأدركت بمرح أنه كان يسترق السمع إلى ما كانت تقوله لها! عادت إليها روح المرح بسرعة وهي تتصور هذا العملاق ينحني ليضع أذنه على ثقب المفتاح.. فنظرت إليه نظرة استفزاز مثيرة.

ـ بإمكاني دائماً الصراخ طلباً لحضور العمة روزي إذا خرجت عن سيطرتي.

استرخت أساريره في استجابة مرحة.. لحظتئذ فقط أدركت أماندا كم بدا جاداً منذ دخلت الغرفة.. ثم تحركت يداه الجميلتان باستسلام.

ـ فلنبدأ إذن.

ونهض فبدا طويلاً بشكل لا يصدق.

سار كل شيء على ما يرام.. أولاً، لأن كيڤن ركز على عدم إزعاجها وظل يتحدث مع كايس الذي تخلى عن قناعه الزائف وأبدى الاهتمام بطريقة عمل الصور.. وكان كيڤن يشرح ما يقوم به ويشرح أهمية الإضاءة والوقفة.. ثم قال: إنه يلتقط الصور الأولية على أفلام بولورايد التي تظهر الصورة فوراً.

تكتكت الكاميرا واستقام كيڤن لينتظر قليلاً ظهور الصورة الفورية ثم حملها إلى الضوء ليلقي عليها نظرة عن كثب، ثم عاد فغيّر الإضاءة وطلب منها بهدوء تحريك يدها أو ذقنها أو أي جزء آخر من جسمها لم يعجبه. بدا سعيه إلى الكمال ظاهراً.. تكتكت كاميرا البولورايد مرة أخرى، وابتعد مرة أخرى يمعن النظر ويدرس وينفذ. ثم تحول إلى كاميرا أخرى ليلتقط سلسلة متعاقبة من الصور وبعدها أطلق أوامر على أماندا أطاعتها بدون سؤال.

ثم قال: استريحي قليلاً.

واستقام يركز اهتمامه للمرة الأولى على أماندا الحية الحقيقية.. ثم فاجأها بابتسامة عريضة ساحرة:

ـ أنا أكلف عادة العاملين عندي بهذه المهمة اليدوية.

وأخذ يغير الفيلم من الكاميرا.. فلاحظت أماندا بأنفاس مقطوعة أن حركاته بالنسبة لرجل ضخم رشيقة وفعالة.

منذ تلك اللحظة، ضاع كيڤن في فن الإبداع وتولت البديهة الفنية زمام الأمور نيابة عن عقله الواعي. في هذا الوقت لم تفعل غير مراقبته بذهول بسبب الدقة والبراعة اللتين يستخدمهما.. وكلما زاد من تحديقه بها عبر العدسة اللاقطة، كلما اعتملت في قلبها المشاعر.. ثم أحست بالتوتر العاطفي كما لو عادت إلى يدي سميتي كارتر إنما بطريقة عكسية هذه المرة.. فتلك تعتمد التهجم على جسمها.. أما هذه فتغزو أعماقها.

قال كيڤن: «معطفك!»

رفرفت عينيها مرة أو مرتين، ثم توردت عندما أدركت أنه أنهى عمله منذ دقائق وأنه يقف أمامها ومعطفها في يديه.

بدت عليه التسلية.. وأخبرتها عيناه الصفراوان أنه يعي إلى أين حملها حلم اليقظة.. ثم شعرت بالغبطة عندما وقفت لتدير له ظهرها ليساعدها على ارتداء المعطف.

حط الفراء عليها برقة وكأنه عناق حبيب.. ولم تستطع أن تنكر بأن لمسة هذا الرجل التي طالت على كتفيها هي التي أعطتها هذا الانطباع الخيالي.. كان يقف وراءها ورسالة مشبعة بالأحاسيس تمر بها فارتجفت.. ترك كيڤن الهواء يخرج من رئتيه برقة وتحركت أصابعه لتحرر شعرها الأشقر الطويل من تحت ياقة المعطف، ثم بدا وكأنه يكره أن يتركه..

تمتمت: «شكراً لك».

قال بصوت أجش متجاهلاً مراقبة كايس:

ـ تناولي العشاء معي.

ـ لا أظن...

حثها بصوت رقيق: «أرجوك».

ولم تكن أماندا منيعة أمام رجائه.

ـ أنا.. حسناً.

أدارها لتواجهه وعيناه الغريبتان دافئتان وهما تتأملان اللون الوردي الذي غزا وجنتيها ورموشها التي انخفضت.

قال: «أنا قادم لاصطحابك في الساعة الثامنة».

هزت رأسها بصمت.. أخيراً وجدت القوة لتبتعد وسارت على غير هدى بعيداً عن المنصة إلى حيث ينتظرها كايس بصمت.

كانا عند الباب حين أوقفهما صوته: أماني؟

لم تستدر إليه.. لأنها لم تجد الشجاعة لذلك.

ـ نعم؟

ـ استحمي بالمياه الدافئة لأنني لا أريد منك أن تخلطي بيني وبين ذلك الخنزير القذر كارتر، مرة أخرى.

هزت رأسها إيجاباً ببطء فلامس شعرها الطويل معطفها.. وقالت له:

ـ لا أظن أن هناك فرصة لهذا.

سمعت أنفاسه تخرج بتنهيدة رضى.

* * *

٣ ـ قطار المشاعر المجنون

رن جرس باب منزل أماندا في تمام الساعة الثامنة.. فارتدت تتأمل صورتها في المرآة الطويلة في غرفة نومها، تناسق الفستان البني المنخفض الخصر مع جسمها النحيل وزاد لونه من إغناء لون بشرتها العاجية.. وكان يلتصق بالجزء العلوي من جسمها وينسدل ويحتضن ساقيها وراح قماشه الناعم يتحرك برقة كلما تحركت.. أما شعرها فغسلته وجففته بمساعدة لفائف ساخنة ليتراقص على كتفيها، ثم رفعته عن جناحيه وثبتته بعيداً عن وجهها بطريقة عفوية تاركة خصلاً صغيرة ناعمة تلامس خديها وصدغيها.

ساعدها الاستلقاء الطويل في حوض الحمام في القضاء على توترها.. وتغلبت على تجربتها التعسة مع سميتي كارتر وكل المحنة الكريهة التي رمتها إلى أعماق ذاكرتها.. وهذا لم يترك مجالاً إلا للتفكير في كيڤن.

نظرت إلى عينيها في المرآة بصدق فرأت فيهما ما تعرف أنه سيراه حين ينظر إليها.. الجاذبية.. جاذبية قوية لا يمكن نكرانها.. يزيدها عنصر المفاجأة قوة. أحست أنها حية وأنها أنثى جميلة واقشعرت بشرتها بترقب مثير دفع اللون الوردي إلى وجنتيها.. ودفع ثغرها إلى بسمة رقيقة، وكأنما لا يستطيع إلا أن يظهر البهجة التي تشعر بها في أعماقها.

دق جرس الباب مجدداً فابتعدت عن المرآة ولم تحاول أن تغير التعبير الذي علا وجهها.. توقفت أمام الباب مقطوعة الأنفاس وكأنها مراهقة

www.elromancia.com

على وشك الخروج في موعدها الغرامي الأول.. فتحت الباب.

ما زال عملاقاً كما عهدته. إنه ذلك الضخم المرعب المسيطر ولكنه يرتدي ثياب المعركة التي سيخوضها ضد أحاسيسها.. كانت سترة السهرة بيضاء متقنة التفصيل أما قميصه فبلون المحار الوردي عليه ربطة عنق بيضاء حريرية وأما سرواله فأسود حريري يحتضن خصره وساقيه، ويزيد من تأثير قوته الخطيرة.. استند بعفوية على إطار الباب، ويده في جيب سرواله.. كانت تعابير وجهه.. ساخرة.

طافت عينا الأسد الكسولتان فيها:

ـ ظننت أنك ستتركينني واقفاً أنتظر ولكنني مسرور لأنك لم تتركيني منتظراً.

أحست أماني بالفراشات ترفرف في معدتها.. قالت له بلطف:

ـ لم أفكر قط في جعلك تنتظر.

ـ شكراً لك على هذا.. جاهزة؟ تبدين شهية ولكني سألزم نفسي بالطعام إذا أحضرت معطفك قبل أن أستسلم لمغريات أخرى، فأقرر أن آكل طبق «هاموند» بدلاً من طعام المطعم!

ضحكت أماندا معجبة بمرحه الجاف. كرر بذكرها: «المعطف».

كررت بأنفاس مقطوعة: «المعطف».

واستدارت بلهفة لتحضر وشاحاً من الفراء الأبيض ولكنها تساءلت بذهول عن مدى تأثيره فيه.. إنها لا تؤمن بهذا التجاذب الذي جاء بسرعة غريبة.

كانت سيارته طويلة، ثمينة، وقوية، عاجية اللون تعكس ذوقه في الألوان.. أجلسها بلباقة واحترام على المقعد الأمامي الجلدي ثم انحنى ليثبت لها حزام الأمان.

اقترب وجهه من وجهها كثيراً فلم تستطع منع نفسها من إبعاد وجهها قليلاً، ولكن حركتها تلك جعلت عينيها على مستوى عينيه.. عندئذ

جمدت أصابعه.. وأصبحت عيناه الغريبتان بلون العقيق السائل.

ولكنه عاد فوقف ودار حول السيارة ليستوي في مقعده..

سألت في محاولة لكسر التوتر:

ـ من أين جئت من أميركا؟

ابتسم لها ابتسامة أظهرت بياض أسنانه.

قال ساخراً: «من نيويورك.. مولداً ومنشأ».

ـ إذن ماذا يفعل نيويوركي، مولداً ومنشأ، في لندن؟

هز كتفيه: الوجوه.. إنها مهنتي، أنا ألتقط تلك الخصائص في امرأة لتظهر أجمل وأبهى بدون مساعدة مساحيق التجميل والحيل التصويرية. بإمكانك دراسة أي من صوري ومقارنتها بالأصل.. فلا أرى أن هناك امرأة غير جذابة، فلدى كل امرأة شيء من الجمال. وقد يكون ذلك الجمال تألقاً داخلياً لطبيعة جميلة، أو ربما مظهراً جسدياً مميزاً.. فكل ما أنا بحاجة إليه هو اكتشاف ما فيها واستغلاله لصالحها.. انظري إلى العمة روزي مثلاً إنها في التاسعة والستين، ووجهها يبرز كل الألم الذي عانته في السنوات العشر الأخيرة.

سألت أماندا بحزن: «التهاب المفاصل؟»

هز رأسه إيجاباً:

ـ لكن عينيها تبرقان بمكر طبيعي ولا أظن أن الألم مهما بلغت درجته قادر على أن يغيره.. وابتسامتها تضيء غرفة مظلمة.. لو أردت تصويرها لما كان عليّ إلا إلقاء نكتة غير محتشمة لأجعل تينك العينين تلمعان وابتسامتها تظهر، وعندئذ لن يلاحظ أحد أبداً خطوط الألم، أو خطوط العمر، أو التواء أنفها الذي كسرته يوماً بوقوعها عن ظهر جواد.

ـ ولكن لكل بلد ولكل مدينة حصتها من الوجوه الجميلة والبشعة.. لذا لا أفهم ما شأن هذا في تفضيلك العمل هنا على..

قاطعها: لم تفهمي وجهة النظر.. كما قلت أنا لا أؤمن بالبشاعة وما

تفعله النساء الأميركيات أو بعض من حولهن وسوسة فجميعهن يردن تحقيق أفكارهن عن الكمال بحيث أفسدن الجمال الطبيعي الذي وهبهن إياه الله! جراحات تجميلية، جراحات أسنان، جراحات عظام! تصوري فقط مئات الشبيهات بالممثلات المفضلات يسرن في مكان واحد.. عندما أصورهن أشعر أنني أصور تماثيل من الشمع.. لكن.. ما يفشلن في رؤيته وهن يبددن الثروات لتحقيق الوجه المثالي هو فقدانهن شخصياتهن الخاصة، وهذا ما يجعل جمالهن هشاً لا يثير اهتمام أي رجل.

سحبت أماندا أنفاسها بحدة رداً على حدة لهجته.

ـ أوه! هذه فلسفة خطيرة.. قد تسبب لك المتاعب إن أعلنت عنها.

ـ أنا لا أخفي ما أفكر فيه.. حالياً لا تستسلم النساء هنا للجراحات التجميلية إلا القليل بالتأكيد.. وما تزال الوجوه عامة صادقة.. أتعلمين؟ توقعت أن يكون وجهك مصطنعاً.

نظر إليها بسرعة فرأى تأثير ملاحظته وشعرت أماندا بالإهانة، فابتسم بمكر قبل أن يعيد نظره إلى الطريق:

ـ لقد رأيت آخر أفلامك وبدوت لي كاملة سطحياً، بحيث أنني قررت أن ذلك من جراء عمل جرّاح خبير رائع.

تمتمت بغضب: شكراً لك.. ها أناذا في الثلاثة والعشرين من عمري أحاول إخفاء عمري الحقيقي بواسطة..

ـ آه.. هذه وجهة نظري.. أترين.. تبدين في الثامنة عشرة! وقد قررت رغم قدرتي على رؤية حقيقة ما أرى أنك كاملة بشكل غريب فظننت أنك خضعت لعملية ما.

ـ إن كنت تقصد إطرائي بقولك هذا فأقول لك إن العكس هو ما حدث.

تمتم: «آسف أماندا».

سخرت منه:

ـ آسف؟ يقول لي رجل بهدوء إنني عجوز شمطاء تحاول أن تبدو أصغر من عمرها، ثم يتوقع أن يرضيني بكلمة «آسف»!

احتج: آه.. لكنك لست عجوزاً..

أوقف السيارة في شارع جانبي صغير.. وأطفأ المحرك ثم ارتد إليها.. لحظتئذ رأت التسلية الساخرة تتراقص كشيطان في عينيه وكرر:

ـ لست عجوزاً أبداً.. ولا كبيرة في السن. أنت إحدى المحظوظات التي ستبدو دائماً شابة وجميلة ومرغوبة من دون حدود.

مرت عيناه بتملك على وجهها وظهر فيهما إعجاب ببشرتها العاجية وبأهدابها الطويلة المقوسة.. كانت عيناها بلون أزرق صاف مذهل كشفتا عن درجة من الإحساس جعله يتنهد برقة وهو يمرر إصبعه على خدها.

تمتم: «كاملة! إنه أكثر الوجوه كمالاً».

فكرت فجأة.. وماذا عن الجميلة سوان؟ كانت زوجته.. وما زالت.. وهي بحسب جميع المقاييس.. جميلة بشكل لا يصدق.

قال بلهجة جادة: اسدي إليّ معروفاً أماندا.. لا تستسلمي أبداً لإغراء تغيير أي من قسمات وجهك من أجل «الشهرة».

خرجت منه كلمة الشهرة وكأنها خطيئة.. فقالت:

ـ سأعقد صفقة معك.. سأعدك بهذا إذا وعدتني..

مرت عيناها على وجهه الصلب كالصخر، والجذاب.. وأحست بلحظات مشبعة بالترقب اللذيذ ثم رأت بسبب ضيق عينيه أنه يتفرس في أي عيب قد يجده في قسمات وجهها:

ـ.. إن وعدتني بألا تناديني بعد اليوم «أيتها السيدة» بتلك الطريقة المستهزئة التي قلتها بها بعد ظهر اليوم!

بدا كيفن مرتبكاً في البداية.. ثم ساخطاً لأنها فاجأته.. ثم أحنى رأسه:

ـ لك وعدي.. أيتها السيدة.

وأعطى الكلمة معنى لفظياً آخر وهذا ما حرك الفراشات الساكنة في معدتها.

كان المطعم صغيراً، حميماً، وفرنسياً.. تحدثا بلطف عن الطعام وعن كل شيء وكأنهما ساذجان.

قال كيڤن فجأة وهما يتناولان القهوة:

ـ أخبرني عن كارتر.

نظرت إليه بحدة، ثم غضّت طرفها:

ـ ما زلت غير قادرة على التصديق أنني وقعت في الفخ! لم أرغب أصلاً أن أقرأ له الرد لكن كايس أقنعني. فكان أن ذهبنا معاً إلى جناح كارتر في الفندق.. ولم يكن تصرفاً غير عادي فالعديد من المخرجين يقابلون الممثلين هكذا.. بدا ساحراً، لبقاً، دمث الأخلاق، أعطاني نسخة من سيناريو الفيلم وتركني وحدي أتصفح المشاهد التي يريد مني أن أقرأها، ثم اصطحب كايس إلى غرفة أخرى ليأخذ رأيه في قطعة خزفية اشتراها.. كايس هاو لجمع البورسلان النادر وهو خبير في هذا الحقل وهذا معروف عنه لذا لم نشك أنا أو هو به أبداً.. ثم عاد وحده تاركاً كايس يتأمل بحسد قطعة الخزف ولكن ما إن جلسنا على الأريكة وشرعنا بقراءة الدور، حتى هجم عليّ فجأة.

ارتجفت للذكرى:

ـ قاومته فأصبح شريراً وراح يهددني بتدمير مستقبلي المهني.

أصبح ثغرها خطاً مريراً.. وبدا واضحاً أن تلك التهديدات لم تؤثر فيها:

ـ كان قد اجتاحني الذعر في الوقت الذي فكرت فيه بنداء كايس الذي اقتحم الغرفة.. كاسدي ليس كما يبدو.. أتعرف هذا؟

ـ بهدوء: «أعرف».

ربما قدر كايس أن يخدع الكثيرين ولكنه لن يقدر أن يخدع كيڤن

أبداً.

ـ شد كايس العجوز الفاسد الخنزير عني ولكمه في وجهه ثم راح ينعته بكافة الأوصاف التي لا تذكر.. لكايس نفوذ شديد في الأوساط الفنية وكارتر يعرف هذا.. لهذا أصابه ذعر شديد.

ظهرت ابتسامة غريبة على ثغرها فنظر كيڤن إليها متعجباً..

أردفت: التقطني كايس.. ورتب ملابسي وأخرجني من الجناح.. ثم اختفى في الداخل وما هي إلا هنيهات حتى سمعت صوت الخزف وبعد ذلك خرج مجدداً واقتادني إلى المصعد.

اتسعت الابتسامة على وجهها بشكل ماكر:

ـ لقد حطم القطعة الخزفية الأثرية له وهي قطعة نادرة لا يحق لأمثاله امتلاكها. يفضل كايس أن يقطع يده على تحطيم قطعة نادرة مثلها.. يجب أن أجد شيئاً مميزاً ليحل محلها عند كايس.

ـ لكن القطعة ليست له!

ردت بجد:

ـ لا.. لكنه سيشعر في أعماقه بأنه خسرها ولا شك أنه يلعن تهوره!

ـ بعد ذلك جئت مباشرة إلى موعدك معي وأنت غير راغبة في أن يلتقط لك أحد صورة..

ـ ثم زدت أنت الطين بلة بمهاجمتك إياي بلسانك السليط.. ما زلت أذكر تلك الملاحظة عن العري تحت المعطف.. لا أدري لماذا لم أصفعك.

ارتدّ ضاحكاً فبدا عملاقاً ماكراً.

كانا جالسين في السيارة خارج المطعم حين قال:

ـ هل أستطيع رؤيتك مرة أخرى؟

تأسفت أماندا حقاً:

ـ أنا مسافرة لمدة شهر.. إنها إجازة أستحقها منذ زمن بعيد.

بدا كيڤن كمن تلقى لطمة عندئذ لانت عيناها الزرقاوان بتفهم.. فهي تشعر بما يشعر به.

قالت تذكره: «ذكر كايس هذا بعد ظهر اليوم».

هز رأسه:

ـ إلى أين.. أنت ذاهبة؟

ابتسمت بأسى: «سأتنقل بين هنا وهناك».

إنها معذورة لأنها تتجنب الإجابة، فهي لا تعرف فعلاً إلى أي جزء من اليونان ستذهب.. لكن سبب تجنبها الرد كان جاثماً إلى جانبها، ضخماً ذهبياً.. وهي خائفة من السرعة التي تعلقت فيها به.

ـ لقد عملت بلا انقطاع مدة خمس سنوات، منذ أن تخرجت من كلية التمثيل.. وأنا متعبة.. فكرياً وجسدياً. بل أنا مبهورة من المنحى الذي تحول إليه مستقبلي العملي. وجدت أنني بحاجة إلى وقت لألتقط ذاتي ولأقرر ماذا أفعل فيما بعد.. إذا بقيت في لندن سأتعرض لضغوطات كثيرة وعندئذ لن أستطيع اتخاذ القرار الذي أجرؤ على اتخاذه حتى الآن.

إنها تفهم نفاد صبره فالشهر زمن طويل في الوقت الذي تتصاعد فيه مشاعرهما بهذه السرعة الغريبة.

ارتدّ ينظر إليها:

ـ ضغوطات لفيلم سميتي كارتر؟

ارتجفت: لا.. لا..! لكن عليّ أن أقرر بين الاستمرار في العمل السينمائي، وهذا ما يريده كايس.. وبين العودة إلى المسرح وهذا ما أريده أنا.

قال بصوت أجش عميق:

ـ أما أنا فأريد أن تبقي هنا معي.. مزيد من الضغط.

مدت يدها تلامس يده: «ضغط لطيف».

أبعد يده عن المقود ليلامس أصابعها..

أردفت: ومغري..

اسودت عيناه واقترب منها ثم همس بإغراء:

ـ لماذا لا نصعد إلى شقتي لنناقش الأمر براحة؟

همست:

ـ تسير الأمور كلها بسرعة هائلة بالنسبة لي..

ـ وهي مخيفة.. أليس كذلك؟

همست: «جداً».

تنهّد بصوت منخفض ثم طوى الفجوة بينهما.

استجابت لعناقه بلهفة.. كان عناقه فريداً من نوعه بالنسبة إليها وهذا ما جعلها تشعر بكل ذرة من عناقهما.

أبعدهما صوت زمور صارخ عن بعضهما بعضاً. لكن كيڤن ظلّ منحنياً فوقها وعيناه تبدوان كالعقيق الأصفر المحترق:

ـ أنت بخير؟

هزت رأسها توافق بصمت، ولكنها لم تكن تستطيع الكلام حتى ولو أرادت.. إذ لم يسبق لها أن اختبرت مثل هذه المشاعر.

حاول ممازحتها:

ـ كقطار سائر بدون سائق.

لكن صوته كان مرتعشاً.. فردت:

ـ أو كسائق فقد السيطرة على قطاره.

قال بوجه متجهم:

ـ أجلي عطلتك.

هزت رأسها رفضاً وتنكّرت لمشاعرها، وقالت تعده:

ـ قد أعود في أقرب مما أظن.. لكنني ملزمة بالسفر شهراً. وأن أعود باكراً لتصرف سيجرح أحاسيس من يتوقع وصولي.

ابتعد عنها بحدة: «رجل؟»

أحست بالبرد فجأة وقالت ببطء: «عائلة..».

ـ آسف.

ـ لكنك لا تبدو آسفاً.. أمهلني ثلاثة أسابيع كيڤن، ثلاثة أسابيع!

وضعت يدها على فمه حين حاول الاعتراض وقالت هامسة:

ـ هذا كثير.. في وقت قصير.. أنا لست معتادة على التهور.

قال بمرارة:

ـ إذن.. أنت تعترفين بأن شيئاً ما بيننا يجري.. شيئاً غير عابر أو عادي.

ضحكت أماندا ساخرة من نفسها:

ـ اعترفت بهذا لنفسي منذ حملتني بين يديك اليوم.. أعطني عطلتي كيڤن..

صمتت قليلاً ثم قالت بصوت بارد:

ـ إن استطعت عدت بسرعة.. لكنني لا أراني قادرة على العودة قبل ثلاثة أسابيع.. أمهلني هذا الوقت.. وما إن أعود حتى أتصل بك.. هه؟

عادت يداه إلى المقود ينقر بأصابعه عليه:

ـ تتصلين بي؟ ثم ماذا؟

أحست أماندا بالتوتر وأسرعت تعضّ على شفتيها لتمنع الرد الحاد الذي قفز إلى لسانها.. لا يحق له أن يطلب الكثير بعد لقاء واحد فقط، لا، لا يحق له ذلك..

قررت ببرود: «سنأخذ الأمور بروية».

ثم أفسدت تأثير كلماتها فيه بقولها: «على ما أظن».

شدها مجدداً إلى ذراعيه يضمها بشدة:

ـ أنا الآن أشعر بالإحباط.. أردت أن أراك غداً وبعد غد وبعد غد..

ـ ابدأ بحملتك حين أعود من عطلتي.

دفعها عنه ونظر بتجهم إلى عينيها، ثم قال:

ـ تذكري وعدك.. الآن اخرجي من السيارة أيتها العزيزة.. قبل أن أفسد سمعتي كرجل مثقف متمدن.

***

www.elromancia.com

٤ ـ لماذا عادت؟

هل هناك ما هو أروع من مشاهدة خط اليونان الساحلي عن ارتفاع ثمانية آلاف قدم في الهواء؟ لا ليس هناك ما هو أروع منه، هذا ما قررته أماندا وهي تنظر بلهفة من نافذة طائرة الخطوط البريطانية التي تسافر على متنها. تنهدت تنهيدة مسموعة لمرأى بحر ايجة الأزرق التاريخية الجميلة كإطار أزرق. مرت الطائرة فوق الجزر.. بدا بعضها مجرد نقاط في مساحة زرقاء واسعة، وبعضها الآخر كتل ضخمة من الأرض لها أسماء شهيرة كشهرة الآلهة الإغريقية القديمة.

أحست أماندا أنها إلهة من تلك الآلهة وهي تنظر من السماء كما كانت تلك الآلهة الخرافية تنظر إلى الأرض منذ آلاف السنين.. زيوس، أبولو، افروديت. رغم عدد المرات التي قامت بها بهذه الرحلة ما زال السحر هو هو لا يبهت ولا يخبو غموضه الذي يثيرها.

بدأت الطائرة تحطُّ فوق بعض الجزر الصغيرة التي تحد تركيا، ثم تابعت المسير نحو جزيرة رودس الساحرة المستحمة تحت أشعة شمس شباط.

مرت دقائق قليلة قبل أن تصبح الطائرة فوق الجزيرة على علو يسمح برؤية أدق التفاصيل مثل قلعة رودس القديمة المشرفة على البلدة، وميناء «مندراكي» حيث كان ينتصب «كولوسوس» يوماً، المخلص لإله الشمس هيليوس، ساقاه القويتان تحددان مدخل الميناء الذي يحمي الناس من غزو

الأعداء.. لكنه لم يعد الحارس.. فذلك العملاق الذهبي تهاوى بفعل هزة أرضية منذ قرون بعيدة.

ظهر وميض غريب في عيني أماندا الحالمتين وتكرر في انحناءة ثغرها.. ربما تهاوى كولوسوس نتيجة هزة أرضية ولكنه لم يختف إلى الأبد بل بقي هاجعاً لآلاف السنين.. ثم عاد على شكل بشري فاني اسمه كيڤن لوكهارت.

رأت الآن رؤية خليج «ايكسيا» حيث يحتضن الفندق الحديث سطح الجبل المستدير، ورأت الشاطىء الرائع الذي تغسله مياه بحر إيجه المتهالكة على الشاطىء. في مثل هذا الوقت من السنة يخلو من محبي الشمس ولكن بعد شهر سيعود حياً يعج بالسواح..

عندما حطت الطائرة تحولت أفكار أماندا من الخيال إلى الواقع، وشعرت بالإثارة فهي على بُعد ياردات من أحبّ الناس على قلبها.

ـ أماني..!

ارتفع النداء حتى قبل أن تخرج من قسم جوازات السفر، فرفعت بصرها بشوق بحثاً عن رأس أختها الأشقر.. ورأتها تبتسم بحبور هو انعكاس للبسمة التي تعلو وجه أماندا.

تعانقتا بشوق وراحتا تضحكان وتبكيان في آن. يسهل على من يراهما أن يفهم العلاقة بين المرأتين.. وحدهن الأخوات قد يكن على هذا القدر من الشبه.

ارتفع صوت صغير:

ـ ماما.. و«تيا» أماندا تبكيان! «پاپا» لماذا تبكيان وهما سعيدتان؟

ارتدت أماندا بين ذراعي أختها ونظرت بمحبة إلى ابن أختها الذي كان يمسك يد والده المحب ويبدو نسخة مصغرة عنه. إن بيدروس فيرغوس رجل طويل مميز، وجهه الأسمر الجذاب يُظهر سخرية كسولة. تنهد مستجيباً لسؤال ابنه:

ـ آه.. يا بنيّ.. النساء مخلوقات نزويات متقلبات.. يبكين حين يجب أن يضحكن، ويضحكن حين يجب أن يبكين.. إنه أمر يصعب فهمه.. أعرف هذا. ولكن علينا نحن الذكور أن نسمح لهن بلحظات ضعفهن العاطفية.

أدار بيدروس نظرته الضاحكة نحو أماندا، واتسعت ابتسامته وقال متمتماً:

ـ أماندا.. أيتها العزيزة.

وهرعت إليه تعانقه بحب.

سألته بعدما رفعت رأسها:

ـ أما زلت تخالف القانون بيدروس؟

تشير بهذا إلى المخالفة التي ارتكبها الآن فقد أدخل عائلته إلى جزء من المطار.. لكنه لم يتأثر:

ـ إني أخاطر بنفسي في سبيل الترحيب بك.

ـ ما أنت إلا شيطان متعجرف.

ارتدت ضاحكة إلى أصغر عضو في العائلة وحيته برقة: «پيير!»

وركعت أمامه.

كان ينظر إليها بريبة.. پيڤروس طفل فخور متكبر كأبيه وهو لا يحب النساء اللواتي يبكين.. ولكن والده تقبل أماندا بلا تردد لذا قرّر أن يحذو حذوه.. لكنه خشي أن تعاود البكاء وهي تعانقه.. عرفت أماندا كل هذا بدون أن يشرحه أحد لها، فقالت في محاولة للتفاهم معه:

ـ يعجبني القميص.

وضع پيير يده السمينة على بطن القميص حيث يبدو وجه دب ينظر إليها من تحت قبعة من القش:

ـ وأبي معجب به أيضاً.

ومضت فكرة ماكرة في عينيها:

ـ إذن سأشتري له قميصاً كهذا هدية في عيد مولده.

قاطعها بصوت عميق: «لا سمح الله».

أردفت بمرح:

ـ وقبعة قش أيضاً لأنني أعتقد أنه أكبر سناً من أن يرتدي قميصاً عليه صورة دب.. ألا تظن هذا؟

تهلل وجه الصغير وكاد بيدروس يختنق وهو يلعن ويضحك وكان أن تلقت أماندا جائزتها بعناق خانق من الصغير وأطربت ضحكة إيرين الجميلة الجميع.

تستكين قيلا فيرغوس في حضن سفح تلة تشرف على خليج صغير خاص في جزء هادىء من الجزيرة قرب «ليندوس»، وأوصلهم بيدروس إلى القيلا عن طريق البحر مبحراً في يخته البخاري حول الجزيرة ليدخل الخليج ولتتمكن أماندا من رؤية منزل العائلة من هذه النقطة الجميلة المفضلة.. المنزل بهجة للنظر.. في تلك اللحظة قررت ألا تقطع عطلتها من أجل كيڤن أو من أجل أي كان.

لكن قرارها لم يدم سوى أسبوعين.

وبدل التفكير في مستقبلها العملي، راحت ترى في يقظتها عينين صفراوين غريبتين مشبعتين بالحب الذي كان يدفع قلبها إلى الخفقان.. كانت ترى وجهه أمامها وهي تبني قصور الرمل على الشاطىء مع پيير، وهي تساعد ايرين في تحضير العشاء، وهي تصغي إلى ما يقوله بيدروس.. كانت تراه في منتصف الليل يقتحم أحلامها، تراه في كل مكان، في النهاية حزمت حقائبها محبطة وتوسلت إلى صهرها أن يضعها على أول طائرة عائدة إلى انكلترا.. ثم لمّا سئلت عن السبب تلونت وجنتاها وهي تشرح له السبب.. ثم اضطرت إلى تحمل مزحاته طوال اليوم حتى حان موعد سفرها.. وكان كل ما قالته لها أختها:

ـ حذار.. وإياك أن تسمحي لقلبك الرقيق بالتحطم!

ما زالت ايرين الحكيمة تذكر الأحاسيس التي مرت بها عندما وقعت في غرام زوجها . . ولكن كيف يكون المرء حذراً عندما يحب؟

وصلت شقتها قبل ثلاثة أيام من موعد عودتها وكان أول ما قامت به هو الاتصال به، لكن العمة روزي هي التي ردت عليها.

تبادلتا الحديث لبضع دقائق، ثم طلبت أماندا التحدث إلى كيڤن.

سألت: «هل هو هنا؟»

ماذا لو نسيها؟

ردت العمة روزي بتذمر:

ـ يقود حروباً صغيرة في مشغله . . وهو هكذا منذ أسبوعين . . ألك علاقة بسوء مزاجه؟

ضحكت أماندا: «. . هذا ما أرجوه! أتظنين أنه ينزعج إن قاطعته وهو يعمل؟»

ضحكت السيدة العجوز:

ـ أظنك أزعجته . . رويدك حتى أوصل الخط له.

تفجرت لهجة كيڤن الأميركية العميقة عبر الخط في وجه أماندا:

ـ أماني . . أين أنت بحق الله؟

ردت ببراءة:

ـ في شقتي . . طبعاً . . وعدت بالاتصال . .

ـ قلت ثلاثة أسابيع.

ـ حسناً . . إن كنت تريد مجادلتي بسبب يوم أو يومين فسأقفل الخط ولك أن أتصل بك في الأسبوع القادم.

صمتت كأنها تنوي إقفال الخط ثم ابتسمت بينها وبين نفسها لأنها عرفت أنها أفقدته توازنه.

صاح بصوت فظ: «أماني».

ردت بصوت رقيق: «نعم».

شعرت بالرضى ما إن سمعت تنهيدته النافذة الصبر:

ـ لماذا عدت بسرعة؟ أعني . . لماذا تتصلين بي؟ أعني . .

إنه يهذي! وهذا ما أشعرها بمزيد من الرضى والنصر. كيڤن لوكهارت العظيم المتحذلق . . فقد توازنه!

قاطعته بعدم اكتراث:

ـ اتصلت لأدعوك إلى العشاء . . لكنك تبدو مشغولاً . . لذا ربما ليس من . .

ـ اصمتي.

ردت بخنوع: «حاضر . . كيڤن».

قال بصوت أجش: «العشاء . .».

ـ أرجوك.

ـ في منزلك أم في الخارج؟

ـ في الخارج على ما أخشى . . فقد وصلت للتو وخزانة مطبخي خاوية . .

ـ لماذا عدت باكراً أماندا؟

قالت بصوت منخفض: «يا لغرورك!»

سمعت ضحكته الناعمة ولكنه أردف يقول بعجرفته المعتادة:

ـ الدعوة مقبولة . . ولكني أنا من سيختار المكان وأنا من سأسدد الفاتورة . .

ـ لن أجادلك في هذا.

ـ سأكون عندك في الساعة السابعة . .

ثم أردف بصوت أجش جذاب:

ـ أماندا . . صففي شعرك إلى الوراء . . هه؟

عبست: «لماذا؟»

ـ لأنعم بلذة إطلاقه من رباطه.

www.elromancia.com

ـ متعجرف . .

وانقطع الخط . . كان آخر ما سمعته ضحكته العميقة الدافئة .

دق كيڤن بابها في الموعد المحدد . . في هذا الوقت كانت أماندا في الجانب الآخر من الباب .

ارتدت الليلة فستاناً أبيض من الحرير الناعم، أكمامه طويلة وهو مثبت عند الخصر بدبوسين مرصعين بالألماس . . أما تنورته فكانت تخشخش وهي تسير . . وأما شعرها فرفعته كالتاج فوق رأسها . . بدت جميلة جداً، أنيقة، سيدة بكل ما في الكلمة من معنى . . أخذ كيڤن وقته يستوعب كل ما يراه أمامه من جمال بعينين صفراوين ضيقتين .

تمتم متجهم الوجه :

ـ ليت الكاميرا معي . . جميلة . . بل خلاّبة .

ابتلعت ريقها بتوتر . . وهمست :

ـ شكراً لك . . وأنت تبدو أنيقاً كذلك .

ـ أنت قادرة على إهلاك أي رجل .

ـ وأنت خطير .

رفع يده إلى خدها يلمس برقة بشرتها .

ـ لماذا عدت باكراً؟

ـ سار القطار بسرعة فلم أستطع القفز منه .

ـ وهل أردت القفز منه؟

ارتجف ثغرها وهي تقول «لا» بتردد .

تمتم بكلمة ما ثم تخلص من المسافة بينهما وجمعها بين ذراعيه، ليعيد لها إيمانها بتجاوبهما المشترك، ولتشعر أنها فعلاً عادت إلى مكانها الصحيح .

ارتفع التوتر بينهما وهما يدخلان المطعم . . أمسك الساقي كرسياً لأماندا لتجلس، ولكن كيڤن منعها ثم ارتد إليها :

ـ ارقصي معي .

رفعت نظرها إليه باضطراب، ثم ارتجفت لأنها شعرت بالتوتر الذي علا وجهه . . وبدون أن ينتظر ردها تناول منها حقيبتها ورماها على الطاولة، ثم اقتادها إلى حلبة رقص صغيرة تصدح في أجوائها موسيقى هادئة بطيئة . . لم يكونا الراقصين الوحيدين لكن أماندا شعرت بالحرج بسبب النظرات الفضولية التي كانا يتلقيانها من الآخرين في المطعم .

قال : «لا أقدر على الجلوس الآن فأنا أحتاج إلى أن أضمك» .

توسلت إليه : أرجوك . . توقف عن هذا كيڤن . . الجميع ينظرون إلينا .

شدها أكثر :

ـ تجاهليهم . .

تنفست أماندا بغضب، إنه يصدمها بتصرفه . . كان الحرج يلسع وجنتيها . . لذا غضّت طرفها فهي لا تريد أن يرى أحد الناظرين إليهما مدى انزعاجها من تصرفه . . لفت أصابعها عمداً حول ذراعه وغرزت أظافرها فيها حتى أجفل ودهش .

همست بحيرة مرة أخرى : «توقف عن هذا!!»

استجمع نفسه . .

ـ أنا أتصرف مثل . .

ـ لا تقل هذا! أعرف كيف تتصرف!

لم تشعر أماندا قط بمثل هذا الحرج . . كان قلبها يخفق بشدة وكأنه مدفع رشاش .

تمتم بهمس أجش : آسف .

ـ فلنعد إلى الطاولة . .

ـ لا!

يا إلهي . . هل فقد عقله؟

www.elromancia.com

همست بغضب:

ـ أحسن التصرف.. سنعود إلى مائدتنا حالما تنتهي الموسيقى.

ـ أجل.. آسف أماندا.

أيهزأ بها..؟ ارتفع غضبها من جديد فنظرت إلى وجهه. إنه الآن يرقص بحذر، ويبدو كأبله عنيد.. لم تستطع إلا أن تضحك ثم سخرت منه:

ـ مسكين كيڤن! بدوت مثل كايس.. نعم أماندا.. لا أماندا، الحقائب جاهزة أماندا.

تمتم باشمئزاز: شكراً لك.

نظر إلى وجهها بفظاظة ثم ابتسم ابتسامة طبيعية وأضاف همساً:

ـ ألك مثل هذا التأثير في جميع الرجال؟ هل تحولينهم إلى حمقى وثرثارين؟ وهل تفقدينهم عقولهم هكذا؟

ضحكت مرة أخرى وبدأ التوتر بينهما يتراخى. وضعت إصبعها في شق ذقنه.

ـ يعجبني هذا.. إنه يدل على قوة الشخصية.

أمسك يدها ليلثم أطراف أصابعها بسرعة، ثم وضع راحة يدها على صدره وغطاها بيده.. عرفت أنها طريقته في الاعتذار على تصرفه، وغفرت له ذنبه بابتسامة ملؤها الدفء.

تمتم مذعناً:

ـ لا أثر للوعي هذه الليلة.. أو للقوة أو الشخصية.. ولا..

ـ قد عدت تتصرف ككايس.

ـ هلاّ جلسنا أماندا؟ أعتقد أنني سأشعر براحة كبيرة عندما أبتعد عنك.

انعصر قلبها شفقة على هذا العملاق الذي يتعذب بسببها.

ـ طبعاً نستطيع.

دست يدها حول خصره واستندت إليه بمحبة غير عابئة بالنظرات

الفضولية التي يتلقيانها.. تعرف أن وجهيهما معروفان لبضعة أشخاص لكنها لم تكن تهتم..

سألته وهو يقودها إلى الكرسي: كم طولك؟

هي ليست قصيرة ولكنه بدا أطول منها بكثير ولو أنها ترتدي كعبين عاليين.

ـ ستة أقدام وأربعة إنشات.

ثم انحنى لها قبل أن يجلسها، ثم أردف مداعباً:

ـ وأزن مئة وتسعة وثمانين رطلاً إنكليزياً.. وما زلت أحتفظ بكل أسناني.. واجتزت آخر اختبار لي.. بعلامة عالية.

ضحكت: «عمرك.. نسيت عمرك».

ـ أربعة وثلاثون سيدتي! تخرجت من الجامعة بمرتبة شرف، تزوجت مرة وطلقت مرة.. و..

صمت فجأة.. وكادت أماندا تتأوه بسبب زوال المرح من صوته.. ثم أنهى كلامه:

ـ لكنك تعرفين كل هذا.. هل نطلب الطعام الآن؟

بعد ذلك خلا تصرف كيڤن من أي عيب.. وفي هذه الفترة حاول أن يفتنها ويسليها.. أكلا ورقصا ولكن ما إن عادا إلى السيارة حتى عاد التوتر بينهما.

كسر الصمت المتشدد:

ـ هل توصلت إلى أي استنتاج فيما يتعلق بمستقبلك المهني؟

هزت رأسها: «لا.. لكن ما زال أمامي أسبوع حتى ينتهي الشهر».

الواقع أنها لم تستطع التفكير في هذا لأنه شغل جميع أفكارها.

ـ لماذا شهر؟ لماذا الوقت المحدد؟

ـ بسبب دور سينمائي.. أمامي خياران، إما أكون نجمة لفيلم قادم.. وهذا يعني ستة أو سبعة أشهر في كاليفورنيا، ولكنه أمهلني فرصة شهر

www.elromancia.com

لأقرر . . فعليه قبل البدء بالتصوير مطالعة أماكن التصوير .

تمتم : «فهمت» .

عرفت أنه عرف فعلاً . . فهذا التجاذب غير المتوقع الذي تحس به نحوه زاد محنتها سوءاً .

أردف بمكر :

ـ وهل تظنين أنني سأضغط عليك للتأثير في قرارك؟ ولكنني لن أضغط عليك بل سأكون مغفلاً إن حاولت التأثير فيك في شيء هام كهذا، بل العكس سأكره أي شخص قد يؤثر في قرارك .

إنه يؤثر فيها بأي حال، ومجرد وجوده معها هو تأثير بحد ذاته .

تابعت بدون أن تعلق على ما قال :

ـ البديل مسرحية . . يجب البدء بالتمرين عليها في الشهر القادم، ستقام في «الوست اند» .

صمتت ما إن وقف على إشارة حمراء في الطريق . . دلت إشارة السيارة الضوئية على أنه ينوي التوجه إلى شقتها . . ولكن يدها امتدت إلى ذراعه وقالت : «كيڤن لا تأخذني إلى منزلي» .

هذا كل شيء . . لا تأخذني إلى منزلي . . وأصبح الصمت في السيارة رهيباً . . جلس كيڤن إلى جانبها وراحت أصابعه تشد على المقود، وعيناه تنظران إلى إشارة السير الحمراء .

قال بحدة : إلى أين؟

همست : «إلى منزلك» .

***

٥ ـ في قبضة العملاق

تغيرت أضواء إشارة المرور إلى الأخضر . . وانطلقت السيارة مسرعة إلى الأمام . . خادعة جميع من خلفها بالذهاب في خط مستقيم بدلاً من الاستدارة يميناً لينفجر كيڤن بشتائم فظة .

قال بخشونة :

ـ لماذا فعلت هذا؟

ـ أطفىء إشارة الاتجاه .

ـ ماذا؟

ـ إشارة الاتجاه في سيارتك . . أطفئها، أنت تسبب ارتباكاً لبقية مستخدمي الطريق .

كان الجو داخل السيارة ملبداً بغضب عنيف .

ضرب بقبضته أداة الإشارة وتعابير وجهه كبركان على وشك الانفجار . . وأخذ يبدل سرعة السيارة بحركات حانقة، وكأنه يحتاج إلى تنفيس مشاعره المكبوتة . قالت : «اشتقت إلى فنجان شاي من عمتك روزي» .

أدهشتها ردة فعله . . فقد راح يلقي الشتائم واللعنات بحنق . . فردت عليه أماندا بشراسة :

ـ شتيمة أخرى، كيڤن . . وألغي كل ما بيننا! أنا . .

ـ آسف!

ـ لا . . لست آسفاً!

نظر إليها بحدة:

ـ هل لديك فكرة عما فعلته بي طوال المساء؟ كنت أجلس وأنا أكاد أجن شوقاً إليك وكان عليّ أن أحسن التصرف . . وأن أراعي مشاعرك . .

قاد السيارة في الشارع الرئيسي بعدم تركيز، فتمسكت أماندا بالمقعد ودقات قلبها تتسارع.

كان يبالغ . . وكان يحاول التنفيس عن صدمته بمهاجمتها، ولم يكن آبهاً بما يفعله هذا بها.

ـ غيرت رأيي . . اصحبني إلى منزلي . . لا أريد أن أكون معك . . لا أريد . .

ابتلعت غصة في حلقها فعاد كيڤن يشتم وضاعف السرعة كثيراً.

أردفت نصف باكية:

ـ لا أرغب في مواجهة غوريلا هائجة . . لا أريد . . لا أريدك بعد الآن!

فجأة عاد إلى لطفه فراح يخفف ثورتها بصوته الذهبي:

ـ مهلك حبيبتي . . هيا الآن . . أنا آسف . أكرر ذلك كثيراً ولكنني فعلاً . . آسف . . لا تبكي حبيبتي . . سأشعر أنني نذل حقيقي إن بكيت.

شهقت: «أنت فعلاً نذل».

وافقها الرأي: «بل أنا كل ما قد تنعتيني به».

هدأت قيادته كما هدأ غضبه، ثم تنهّد تنهيدة عميقة وعقد ذراعه حول كتفيها وقال بهدوء:

ـ تعالي . . ضعي رأسك على كتف كيڤن وأعدك بأن أكون ولداً طيباً كما ربتني أمي.

تركته يشدها إليه بتردد ثم استسلمت لضغطه الرقيق، وأراحت رأسها على كتفه . . يا لها من كتف عريضة دافئة ثابتة و . .

تمتمت لتبلغه أنها لم تسامحه بعد: متوحش!

ـ اتخذت قراراً بألا أجادلك مرة أخرى . . لا أحب رؤيتك باكية.

شعرت بالرضى فاندست بين ذراعيه أكثر وأكثر وراحت تراقبه يقود بيد واحدة بكل كفاءة . .

قالت: «اشتقت إليك وأنا مسافرة».

أمرها متجهماً:

ـ لا تتفوهي بشيء . . دعيني أركز حتى نصل إلى منزلي سالمين . . هه؟

كورت شفتيها حرداً:

ـ أردتك أن تعرف . . هذا كل شيء.

ـ أماني . .

أجابت حانقة:

ـ أحاول أن أصمت! ألا تظن أنني مثلك فقدت توازني بسببك.

ارتفع رأسها عن كتفه:

ـ من المفترض أننا شخصان ناضجان، مثقفان، فكيف نخضع هكذا لمشاعر بسيطة . .

ـ لا شيء بسيط فيما نحس به أماندا.

شهقت: «لكنني لست معتادة على هذا».

تنهد: «هذا ما تدأبين على قوله».

أدار كيڤن مقود السيارة بحدة فارتمت أماندا مجدداً على كتفه، ولكن تلامسهما لم يكن أمراً مريحاً. ثم نظرت من الزجاج لترى سبب تحوله المفاجيء.

كانت السيارة تسير بهما عبر البوابة الخشبية المرتفعة إلى منزله، وأنوارها تشع على أبواب الكاراج الذي انفتح أحدهما إلى الأعلى وهما يقتربان . . أدخل كيڤن السيارة ثم أوقفها وأطفأ المحرك، ونظر إليها ثم

قال ما صعقها:

ـ أماندا هل تتزوجينني؟ أريد الرد الآن.

نظرت إليه فاغرة فاها لا تقوى على التفوه بكلمة، فقد توقعت كل شيء وأي شيء إلا هذا..

عاد يردد بيأس:

ـ تزوجيني.. لا أستطيع البقاء على هذه الحال فمنذ رأيتك تبدّل كياني كله وانقلب عالمي رأساً على عقب ولم يعد بمقدوري القيام بأي عمل.. أشعر أنك سددت علي أنفاسي وحياتي فرديهما إليَّ أرجوك.

وقعت كلماته الغريبة على قلبها كالصاعقة وراحت تنظر إليه بمزيد من الحيرة.. ولكن لِمَ لا.. أليست هذه هي حالها؟ ألم تنقلب حياتها رأساً على عقب منذ تعرفت إليه؟ ألم تعجز حتى الآن عن التفكير في أحد سواه أو في شيء آخر غيره؟

اقترب منها يلمس وجنتها برقة وكأنه بذلك يريد التخفيف من وطأة الصدمة عليها.

ـ ماذا حبيبتي.. نعم أم لا..

فجأة وجدت لسانها ينحل من عقاله:

ـ نعم.. نعم.

إنه أفضل قرار تتخذه.. فما تشعر به تجاهه شيء غريب لم يسبق أن عرفت مثله..

تنفس كيڤن الصعداء ولاح على وجهه بسمة نصر وفرح:

ـ غداً، غداً نتزوج.

ـ أبهذه السرعة؟ لا أرجوك.. أريد أن أطلع عائلتي أولاً وأن أدعوهم.

ـ ماذا؟ وأبقى منتظراً طوال هذه المدة؟ لا.. غداً نتزوج مدنياً ولكن أعدك أن يكون لنا زواج كنسي مميز تدعين إليه من ترغبين في دعوته.

ارتفعت يدها إلى رأسها بحيرة.. ما هذا الرجل! لقد ضعضعها حتى

باتت عاجزة عن اتخاذ أي قرار..

قالت بتردد: «لكن..».

ـ لا تعترضي! ليتك تعرفين ما أشعر به.. أريدك معي.. أريد أن أستيقظ صباحاً لأراك.. أريدك معي في الصباح لنتناول الفطور معاً.. أريدك معي طوال الوقت وفي أي وقت فراغ.. كفى الآن! سأعيدك إلى منزلك.. وغداً في التاسعة صباحاً أمر بك..

ـ بل في الحادية عشرة، دعني أستعد قليلاً.

قال بنفاد صبر: حسناً.. الحادية عشرة..

ثم عاد يقود سيارته إلى منزله ولكن الصمت ران خلال هذه المدة وكأن كل واحد منهما لا يصدق ما اتخذاه من قرار.

في تمام الحادية عشرة قُرع جرس شقتها وكانت هي في غرفتها تتأمل فستانها الوردي الجميل الذي انساب برقة متناهية على قدّها الرشيق وكان وجهها مشرقاً رغم الأرق الذي اجتاحها ليل أمس.. لا تدري كيف وافقت على طلبه.. بل لا تدري كيف تهورت هكذا وزجّت نفسها في المجهول.. ولكن هل كيڤن مجهول بالنسبة إليها حقاً.. إنها تشعر أنها تعرفه منذ الأزل وتشعر أنه الرجل الذي طالما انتظرته..

عند انبزاغ الفجر قررت أنها لم تتهور البتة بل خضعت لمشاعر لا يمكنها ردعها أبداً..

عاد الجرس يرن ثانية إنما بقوة أكبر.. فهرعت من الغرفة لتفتح الباب وكان هو واقفاً والغضب يلوح على وجهه:

ـ لماذا تأخرت في الرد..

كتم غيظه وأضاف: خلتك غيرت رأيك ولكن ما تراه عيناي تثبتان العكس.

راحت نظراته تتأملان وجهها الجميل ثم انتقل إلى الفستان الوردي الذي التصق بها بجمال أخّاذ يكاد يخطف أنفاس المرء..

ـ هل أنت جاهزة؟ إذ لا أمان لك إن بقيت هنا لحظة أخرى..

ضحكت بفرح وصاحت به: أنا جاهزة..

ثم انطلقا.

في وقت متأخر من ذلك اليوم عادا زوجاً وزوجة.

الآن زالت الحواجز والموانع.. وانفتح الباب على مصراعيه لهذه المشاعر التي تعصف بهما.

ما إن أصبحا أمام المنزل حتى سألته بتردد:

ـ أيمكن أن ندخل إلى المنزل بدون أن نزعج عمتك؟ لا أظنني أطيق الاجتماعيات الضرورية الليلة.

ـ نستطيع بالتأكيد.

مد يده يمسكها.. فأطلقت نفساً مرتعشاً، ثم أمسكت يده الكبيرة ووضعتها على خدّها فاستجاب لها بأن أدار وجهها إليه وعانقها بلطف.

خرجا من السيارة بصمت، والتقيا أمام باب الكراج حيث تعلقت بذراعه ثم سارا معاً إلى المنزل.. فتح كيڤن باباً خلفياً صغيراً واقتادها إلى درج قصير أفضى بهما إلى الطابق الأول.. ثم دخل بها من باب آخر أوصلهما مباشرة إلى مطبخ رائع.

أجاب رداً عن سؤالها الفضولي الذي لم تسأله:

ـ المنزل مقسوم إلى قسمين.. في الأصل كان المنزل كله ملكاً لعمتي روزي.. وهي حقاً عمتي.. تقريباً.. فهي أخت أبي غير الشقيقة.. ورثت المنزل من والدها وعاشت فيه عشرين عاماً ثم ظهرت أنا على المسرح.. وكان ذلك منذ خمس سنوات.. جئت من نيويورك أبحث عن مكان محترم أستخدمه كاستديو للتصوير، فكان أن زرت العمة روزي.. زيارة واجب.. فهي قريبتي الوحيدة التي ما تزال على قيد الحياة.. إنها أخت أبي من أمه.. شعرت أن عليّ أن أقابلها قبل.. على أي حال.. وصلت فوجدت عارضة «للبيع» معلقة في الخارج.. ثم قابلت هذه السيدة

العجوز ذات الوجه المحب وكلبها الغبي، ولكنها كانت حزينة لأنها ستخسر قريباً المنزل الوحيد الذي تعرفه.. مع أنها حاولت ألا يظهر هذا عليها.

شعرت أماندا بالسعادة لمراقبته وسماع صوته الذهبي العميق يحدثها بصدق.

ـ كانت تنوي البيع والانتقال إلى ما تسمونه أنتم الإنكليز، بمأوى العجزة.

أظهرت إشارته رأيه بهذا:

ـ عندما كانت تحدثني عن أمر البيع عنّت لي فجأة فكرة... اقترحت أن أشتري المنزل منها، ولأنقذ كرامة امرأة عجوز أقنعتها أنني بحاجة إلى من يعتني بي.. لأختصر الحديث.. أعطيت العمة نصف الطابق الأرضي كشقة مستقلة لها.. أما القسم الآخر فهو غرف الاستقبال الرسمية التي أقيم فيها حفلات استقبال ضرورية.. أما قاعة الطعام فقد وضعت يدها عليها لأنها قررت أن تطهو لي العشاء، قالت بإصرار إن على رجل ضخم مثلي أن يتلقى وجبة طعام لائقة وقررت أن من واجبها أن تقدمها لي.. وعادة أتناولها في غرفة الطعام لأنني أرفض السماح لها بصعود الدرج.. أما هنا فلدي الاستديو والغرفة المعتمة والمكتب، وما إلى ذلك..

أشار إلى المطبخ الخاص ثم قدم لها كوب قهوة يتصاعد منه البخار، ووضع كوبه على الطاولة قبل أن يجر كرسياً بقدمه ويجلس عليه.

ـ هذا مطبخي الخاص في شقتي الخاصة. لدي مدخلي الخاص أدخل منه وأخرج كما أشاء، وهناك الباب الرئيسي الذي دخلت منه المرة الفائتة ولكن العمة تسيطر عليه فهي لمعلوماتك فضولية.

ـ ألم تخبرها بأمر زواجنا؟

ـ لا، فقد خفت أن تغيري رأيك..

ضحكت عندما رأت ما علا وجهه وعرفت أنه عاش ليلة أرقة أيضاً.

- يا للمسكين!

ترى ما دعته العمة.. نعم.. دب كبير.

أضاف: تحب العمة أن تعرف ماذا يجري في الاستديو وتحب أن تعرف من يأتي ومن يذهب، وهي بذلك تظن أنها تحافظ عليّ.. لكنها تصاب بالهلع ما إن تبيت ليلة ما بمفردها.. لذا تقفل الباب الأمامي بالرتاج حين يخرج الجميع، ويبقى لها لاكي لمرافقتها وهو حارس جيد.

تذكرت أماندا الكلب الضخم وهو متمدد على أسفل الدرج فابتسمت لأنه يبدو كسولاً جداً.

- ثم هناك نظام الهاتف الداخلي الذي ركبته للمنزل لتستطيع مكالمتي متى احتاجت إليّ.

قالت أماندا بلطف: «أنت نِعْمَ المأوى لها..».

تابع كيڤن قوله:

- تعرضت للسطو مرة.. ولهذا قررت البيع.. وبسبب التهاب مفاصل وركها أيضاً.. من حسن الحظ أنني جئت في الوقت المناسب. فهذا المكان مناسب لأنه يقع في وسط لندن حيث يسكن معظم زبائني.. وهو خوّلني الحصول على مركز عمل وعلى شقة في آن واحد.. والواقع أنني والعمة روزي نتفق جيداً. تستقبل صديقاتها عدة مرات في الأسبوع، وإذا تمكنت أنزل لأجالسهن وأفتنهن قليلاً.. وكم يعجبها ذلك.. إنها تزهو بي وتفتخر ولكنها بالمقابل لا تزجّ أنفها أبداً في حياتي.

- ألا تؤنبك على تصرفاتك وفسادك؟

- لا.. إنها لا تؤنبني أبداً.

ارتشفت أماندا قهوتها بعدم رغبة.. فقد كانت نظرته إليها دافئة وبدأت قشعريرة تتلاعب بأعصابها.

- أماني..

قفزت ما إن نطق اسمها.. ثم ضحكت بقليل من التوتر:

- أنا خائفة.. هذا جنون.. أليس كذلك؟

قال: «لمَ الخوف؟ ألست زوجتي»؟ ونظر إليها بتملك.

استغربت لفظة «زوجتي» فردت بصوت أجش:

- لم أعن هذا.. أظنني خائفة منك.

وضحكت ضحكة غريبة.. فارتفع حاجباه الذهبيان:

- مني أنا؟ لست العملاق غوليات الظالم.

سألت: «لا؟»

ضحك ضحكة مخنوقة لم تكن مرحة ولا ساخرة:

- لا أصدق كل هذا أماندا..

امتدت يده إلى مؤخرة عنقها ليجبرها على النظر إليه:

- أماندا.. الحب يمد الجسور بين كل الاختلافات الجسدية.. حين تجتمع كل روابط الحب والرغبة والاهتمام والرعاية..

قاطعته في محاولة للظهور بمظهر الخبيرة:

- بكل تأكيد.

تفرس فيها لحظات:

- هل سبق أن أحببت؟

- وقعت مرة في ما ظننته حباً.

تنهد: «فيما ظننته حباً.. ماذا يعني هذا يا ترى؟»

تنهّدت تنهيدة أخرى فجذبها إليه بحزم.. ثم أمسك يدها التي وضعها على صدره حيث كان قلبه يخفق بقوة على راحتها:

- أتشعرين بهذا؟ أتذكرين العناق الذي تبادلناه في السيارة قبل أن تسافري؟ في ذاك الوقت لم تشعري بالخوف مني.. كانت خفقات قلبك تماثل خفقات قلبي..

هزت رأسها باستحياء.. ثم نظرت إلى عيني كيڤن.. وقالت: «ضمني إليك».

وكان توسلاً غريباً.

شعرت بصدره يتحرك صعوداً ونزولاً ثم تمتم: «اللعنة».

وضمها إليه يسحقها بكل قوته.

همست: «كيڤن».

ابتعد بحدة عنها ليلتقط أنفاسه ثم راحت عيناه تحرقانها..

عادت إلى أحضانه سريعاً.. فالآن سقطت القيود والحواجز وأصبحا شخصاً واحداً متناغماً..

***

سألها برقة: «هل أنت بخير؟»

هزت رأسها بحيث لامس شعرها ذقنه. وتحركت أهدابها كالحرير الناعم على بشرته..

قالت: «لم يسبق أن شعرت بمثل هذه المشاعر».

أخفض رأسه ليرى وجهها وليقرأ أفكارها لكنها لم تترك له فرصة فقد ضغطت خدها على صدره، فضحك متأثراً بخجلها.

ـ أنت مميزة عندي.. حلوتي.. بعد سنوات طويلة من رفض أية علاقة برجل، اخترتني أنا فلماذا؟

ابتسمت لهذا: «أنت الآن زوجي وهذا ما هو حقيقي.. وماذا عنك؟ لماذا جعلتني استثناء لقاعدتك؟ فهمت أنك لم تحاول التعرف إلى من تصورهن..».

ـ لكنك لا تشابهين أية واحدة منهن.

ـ لكنني من العالم الذي تحتقره، ذلك العالم البراق الغارق بالغرور والتبجح.. لماذا كيڤن؟

ـ إنه القدر.

حاول صرف نظرها بمداعبة شعرها ولكنها أبعدت يده ورفضت رده. فأضاف: «لأنه إغراء لا يقاوم لأحاسيسي».

ـ أقرب من هذا.

ـ حسن جداً.. أستسلم.. ما الذي جعلنا معاً نخترق ذاك الحاجز الذي طوقنا نفسينا به؟

همست: «هذا».

ضمته بشدة فمادت الأرض بهما إنما بدون إثارة.. كانت ضمة حنان تعني فيها «الحب» دون أن تتلفظ به، مع أن كلاهما شعر به.. يبدو خلفهما، ينتظر اللحظة المناسبة ليكشف عن نفسه.

كان كيڤن يرتجف ولكنه أخفى اضطرابه.. ولم تمانع أماندا في مراوغته.. فهي تعرف وتفهم دون الحاجة إلى كلمات تؤكد ذلك.. فالكلمات موجودة تطوف في الهواء حولهما.. فالحب وحده هو ما جعلهما يكسران ما اتخذاه قاعدة في حياتهما.. وهو سبب سفر أماندا لتفهم جذور الصدمة العميقة التي أعمت بصرها، صدمة الوقوع رأساً على عقب في حب رجل قابلته لمرة واحدة.

تثاءبت أماندا، وتكورت على صدره.. دلّت تقطيبته على تفكير عميق ولكنه عاد يعانقها بشوق وحب.

ـ نامي الآن، وسنكمل الكلام صباحاً.

نامت واستيقظت وهي لا تزال معه على السرير.. شعرت بأنها قريبة منه مكاناً وروحاً، ثم جاء الفطور حاملاً معه كلاماً سهلاً، تافهاً ومزاحاً ونكاتٍ.. قالت وهي تأكل التوست مع القهوة:

ـ قررت التدرب على المسرحية.

لم يعلق.. لكن استرخاء عضلات فكه أفهمها أن هذا ما يريده.

تابعت:

ـ سأتسلل من هنا قبل وصول العاملين لديك.. فقد يسيئون الظن بنا.

قال بتعجرف: «سنعلن للملء أننا زوجان».

ـ وهل ستفرح العمة روزي؟

ـ بالتأكيد.. لقد أحبتك!

وتلقى لكمة مزاح على ذقنه.. وهذا ما بدأ معركة انتهت بهما على أرض المطبخ.. وبقيا هكذا، يتبادلان الضحكات بغباء.. لكن باب المطبخ انفتح عن غير توقع فصدمهما ذلك.

شهقت أديث التي نظرت إليهما بدهشة: أوه!

قال كيڤن بهدوء:

ـ اذهبي من هنا أديث.

رفرفت المسكينة عينيها مجدداً وامتقعت وجنتاها بلون قرمزي، ثم هربت تاركة وراءها صمتاً لم يكسره سوى انفجار أماندا بضحك هستيري منخفض. قالت ساخرة وهي تكاد تختنق من الضحك:

ـ سقطت هالتك! لن تنظر أديث إليك النظرة ذاتها بعد اليوم!

ـ لم أكن قطّ ناسكاً.

ثم بدأ يلعن لسانه لأنه رأى ضحكتها تنزوي.. تنهد تنهيدة ثقيلة:

ـ لم أقصد هذا كما بدا كلامي.. أنت المرأة الوحيدة التي ضبطت معي في مثل هذا الموقف وفي هذا المنزل أماندا.

ـ وهل هذا استثناء آخر للقاعدة؟

نظر إليها مفكراً، ثم رفع نفسه يجذبها معه ليقفا:

ـ سأذهب لأعرف ما الذي حملها إلى هنا في هذا الوقت الباكر.. وسأنشر عندئذ خبر زواجنا.

وخرج.

عندما عاد وجدها مرتدية فستانها الوردي الذي ارتدته بالأمس ووقفت قرب النافذة في غرفة الجلوس تراقب لاكي وهو يلعب في الحديقة بجذل الكلاب.

قال يشرح لها عند الباب:

ـ أرادت التقاط صوراً خاصة قبل موعد العمل.. وجاءت إلى المطبخ لتأخذ الإذن مني.

هزت أماندا رأسها بدون أن ترد.

قال ببرود.. وقد ذهب السحر الذي كان بينهما:

ـ سأصحبك إلى منزلك أماندا لتجلبي أغراضك فقد أصبح البيت بيتك.

ـ أجل.. أرجوك.. وأنا بحاجة أيضاً للاتصال بكايس لأعلمه بعودتي ولدفع مسألة التمرينات إلى الأمام.

كان يسد الباب.. ولم تستطع النظر إليه.. لم تكن معتادة على هذا النوع من الوداع.. كان خداها محمرين وتحس أنها بلهاء جداً.

سمعته يتمتم.. بصوت خرج من أعماق صدره:

ـ أعتقد أننا قد نوضب الحقائب معاً.. لكن إذا كنت تفضلين..

ارتفع رأسها وعيناها تعكسان تسارع قفزات قلبها.

راح يدور في شقتها كمن يريد شراءها.. وراقبته أماندا بتساهل فهو يبدو بهذه الكنزة الواسعة وهذا الجينز الباهت منسجماً مع صورته الفنية.

كان قد عاد للتو، ففي الصباح أوصلها ثم عاد إلى مشغله ليعمل ساعتين.. وفي هذه الفترة استحمت أماندا وارتدت سروالاً من القماش وكنزة خضراء. بدت عفوية ولكن أنيقة.

سأل: «ماذا قال كايس عن قرارك؟»

ـ لقد.. لقد أذعن!

نظر إليها من فوق كتفه، وتمتم: «همم!»

ـ وماذا تعني بهذا؟

ـ ما قلت بالضبط.. همم.. هل لي أن آخذ بعض هذه التسجيلات معنا؟ لم أتصور للحظة أنك من محبي هذا النوع من الموسيقى أماندا..

www.elromancia.com

لديك مجموعة رائعة.

حذرته بصوت هادىء:

ـ كيڤن! ماذا عنيت «بهمم»؟

لم يرد للحظات وتابعت أصابعه العبث بالشرائط المسجلة.

ـ إنها تعني.. تعني.. اللعنة!

استقام والتفت إليها:

ـ أعني أنني لا أثق بذلك الشيطان الذي يحاول تغيير قرارك! أعني.. أين الإنصاف في أن ترفضي دور بطولة في فيلم أميركي فمن التمثيل في المسرح لن تجني إلا مبلغاً زهيداً.

نظرت إليه بتجهم:

ـ هل أنت ثري كيڤن؟

صدمه السؤال فنظر إليها بتعال.

قال ببرود: «أنا مرتاح مادياً».

رددت ببطء: «مرتاح».

ارتفع ذقنها بكبرياء فاقت كبرياءه:

ـ حسناً.. أنا أكثر من هذا.. أنا أعمل لأنني أحب العمل وليس لأنني مضطرة إليه.. ولهذا فرق كبير..

صمتت قليلاً ثم أردفت ببرود:

ـ.. أترى.. خلاصة القول إنني أستطيع أن أفعل ما أشاء وكيفما أشاء!

ضحك ضحكة غريبة:

ـ تبدين الآن مثل كايس.

ثبتت نظرتها عليه رافضة التراجع:

ـ لو شئت لتوقفت عن العمل ولن أشعر أبداً بالفارق مادياً بيننا، فهل تفهم ما أحاول قوله لك؟

ابتعد عنها. عرفت أنها تتصرف بطريقة مزدرية.. ولكنها لا تريده أن يظنها امرأة طفيلية تزوجته لتعيش في ترف، ألم يخبرها كايس أن زوجته السابقة استنزفته كثيراً؟

ـ أحاول أن أشرح لك أمراً يعرفه كاسدي خير معرفة.

أشارت بيدها إلى خزانة تحتوي على أدوات المائدة فوقها صورتان ورفع حاجبيه متسائلاً.

لامست أحد الإطارين بإصبعها.. وقالت له بصوت أجش:

ـ إنهما والداي.. هذا والدي هاري هاموند الفنان النمساوي.

تنفس كيڤن متأثراً: «يا الله!»

ـ وهذه أمي.

أخذ كيڤن يتأقلم ببطء مع هذا الخبر، خبر بنوتها لهارولد هاموند الفنان الذي بلغ ذروة الشهرة خلال سجنه في معتقلات النازيين الألمان حيث رسم لوحات رهيبة تدمي القلب.. وهي معلقة الآن في الأبنية الكبيرة التي لا يريد أصحابها أن تغيب عن أذهان الناس في تلك الحقبة من التاريخ.

أردفت: «أما أمي فهي اللايدي جينيس بريسكوت ابنة اللورد جوفري بريسكوت».

صفّر كيڤن لأنه تذكر اسم أحد أبطال بريطانيا الكبار في الحرب العالمية الثانية.

ـ عندما كان والدي شاباً يافعاً علق في المانيا بعد إقفال الحدود النمساوية.. أخيراً تمكن من دخول النمسا بمساعدة جدي لأمي وعاد إلى انكلترا.. ولكنه بعد هروبه، عاد يرسم بعضاً من ذلك الرعب معتمداً على الذاكرة.

صمتت أماندا تنظر إلى الصورة طويلاً في لحظة حزن.. ثم أكملت:

ـ غني عن القول.. حين قدمه جدي إلى أمي، وقعا في الحب

www.elromancia.com

وتزوجا.. وتميل هيلين إلى الاعتقاد أن حبه لأمي خفف بعضاً من عذابه الداخلي، وأميل أنا إلى الإيمان بأنها على حق.. ولقد قتلا معاً في حادث تزلج على الجليد منذ خمس سنوات.

هز كيڤن رأسه متذكراً ما قالته الصحف:

- ومن هي آيرين؟

- إنها شقيقتي.

أخذت أماندا الصورة الثانية وقربتها منها مبتسمة بمحبة.

- إنها أكبر مني بست سنوات، وتحب أن تسميني «غلطة أمنا الصغيرة» لكنها لا تقصد شراً من هذه التسمية.

قال بصوت أجش:

- إنها تشبهك، من هو الرجل الذي معها هنا؟

- بيدروس فيرغوس.

كرر كيڤن بمحبة: يا إلهي!

- لقد أمضيت الأسابيع الثلاثة الأخيرة معهما في الواقع.. بيدروس من أهالي رودس.

لامست شفتيها ابتسامة غريبة، فلاحظها كيڤن وتساءل بفضول عن سببها، وأكملت:

- إنه يملك منزلاً في أثينا بالطبع.. ومعظم أشغاله تدار من مكتبه الرئيسي في أثينا، ويقضيان معظم وقتهما هناك.. لكن بيدروس يتمكن دائماً من ترتيب وقته لنقضي العطلة معاً في رودس.

- وتركتهما متسائلين عن سبب رغبتك في العودة إلى انكلترا في وقت مبكر.. ما هو احتمال مجيء هذا اليوناني الضخم إلى هنا ولعبه دور الصهر القاسي معي؟

لكنه لم يكن يمزح.

وضحكت أماندا:

- الاحتمالات متساوية كما أعتقد.. إنه رجل ضخم وقوي.. بيدروس.. لديه إحساس متجذر عميق بالولاء للعائلة، إنه قادر على خنقك إن أذيتني.

- لكنه سيضطر إلى تجاوز العمة روزي أولاً.

برقت عيناها وهي تتصور بيدروس يحاول تجاوز العمة روزي.

- هذه مشكلة.

- أدركت للتو أنني قادر على التوقف عن التقاط الصور فلم يعد الأمر مهماً لأنني سأعيش منذ الآن فصاعداً على حسابك! هذه فكرة مغرية.

- يجب أن تسألني أولاً إن كنت مستعدة للإنفاق عليك أولاً.. لكن إذا كانت حياة العيش على مال النساء تناسبك، كيڤن لوكهارت فأحذرك أنني لا أحب الكسالى، بمن فيهم الضخام الأجسام.. لذا حذار.

تحداها بكلمات فيها إنذار مبطن فتراجعت أماندا مبتعدة عنه.. كان له تلك النظرة التي تشبه الأسد المستعد للانقضاض، وتقدم خطوة مهددة نحوها، وبصرخة مرتفعة حادة، استدارت وهربت.. ولحق بها.

أصرّت أماندا فيما بعد، أن قبضه عليها في غرفة النوم كان مجرد سوء حظ لها وحسن حظ له.

***

٦ ـ حبي زهرة منسية

نقلت أغراضها إلى منزله بدون عقبات وكان أن أقفلت أماندا شقتها ببساطة ناسية أمرها..

عمل كيڤن في مشغله الذي لم يكن يغادره إلا للبحث عن القهوة.

رحبت العمة روزي بأماندا بعناق كبير ثم وعظتها بأن تكون «طيبة مع ولدها الذي أصبح الآن زوجها، وعلى المرأة إطاعة زوجها في كل شيء».

قالت وهي تشرب معها الشاي: إنه يستحق قليلاً من السعادة أخيراً.. فقد عاملته تلك المرأة بطريقة مزرية.

اعتادت أماندا على أن تشير العمة إلى سوان كورتيز بتلك المرأة.. ومرت الأسابيع التالية بسرعة وفي هذه المدة اعتادت أماندا على النزول إلى شقة العجوز كل صباح لتشاركها إبريق شاي، وعرفت الكثير عن «المرأة الأخرى» وكم عاملت «كيڤن المسكين» بقسوة.

ـ لقد قام بما في وسعه من أجلها.. كان مغرماً بها، يركع تحت قدميها!

انتفخ الوجه المغتاظ من تلك الذكرى.. فتساءلت أماندا عن مدى معرفة العمة روزي عن علاقة كيڤن بزوجته السابقة.. أكان مغرماً مفتوناً بها أم لم يكن قط؟.. لا تتصوره أبداً عبداً مخلصاً يركع تحت قدمي أحد.. ليس كيڤن.. بل هي من كانت تركع عند قدميه..

أضافت العجوز: ولكنها كافأته بالخيانة وجعلته موضع سخرية أمام جميع أصدقائه.

فكرت أماندا في أنهم لم يكونوا قط أصدقاء أوفياء.

سألت: «هل التقيت بها يوماً؟»

ارتفع صدر العمة وهبط بحدة:

ـ عدة مرات.. فهي تأتي إلى هنا.. لتستجدي. إن كيڤن ليس شخصاً يسهل خداعه ولكنها من طراز مصاصي الدماء..

ـ جميلة؟

ارتفعت عينا العجوز إلى السماء:

ـ لم أر أحداً بجمالها في حياتي! سوداء الشعر، سمراء، غريبة.. نصف مكسيكية كما أعتقد. شعرها أسود طويل وعيناها كبيرتان سوداوان وثغرها كبير تطليه دوماً بالأحمر وهي طويلة أيضاً.. إنها امرأة متناسقة الشكل.

تمتمت أماندا: «رأيت صوراً لها».

أحست بالغيرة.. فلا يمكن لكيڤن أن يختار امرأتين على هذا القدر من التناقض.. فهل سمح لنفسه بالانجذاب إلى أماندا لأن مشاعره تجاه زوجته السابقة ما تزال عميقة؟ وهل الجروح التي تركتها فيه لم تندمل؟ ألهذا تعمد التفتيش عن نقيض لها؟

إنها فكرة مثيرة للاضطراب أرسلت وخزات صغيرة من الشك.

أردفت العمة روزي:

ـ ولكنني أخاله تخلص من تأثيرها كلياً، لقد حطمت إيمانه بالجنس البشري.

جلست المرأتان بصمت لدقائق.. ثم أضافت العمة وكأنها تتذكر:

ـ لا تبقى طويلاً حين تأتي.. وهي ترحل بعد ساعة أو أكثر وجسدها يختال كقطة.

أتعود من أجل المال؟ أم لتثبت أنها ما تزال تسيطر ولو قليلاً على مشاعره؟ هذه فكرة تثير الكآبة في النفس.

لكن كيڤن روى قصة انهيار زواجه بكلمات أخرى..

ـ التقينا حين كانت على أول درج النجومية، كانت تكافح لتخترق حواجز الشهرة ولكنها لم تكن تعرف أبسط الأشياء عن طبيعة العمل.. أما أنا فكنت شاباً متكبراً واثقاً من عبقريتي.. ورأيت فيها ما يكمن عندها من إمكانيات فعرضت عليها العمل، أعني مهنياً.

صمت قليلاً: استغرق العمل عليها شهوراً من الصبر.. هي ذات طبع مشاكس.. تثور غضباً دون أي سبب، وهذا أول ما كان عليّ كبحه فما من امرأة مهما كانت جميلة قادرة على النجاح في عالم الأضواء بدون الصبر.

قالت أماندا ممازحة:

ـ استخدم بعض نصائحك لنفسك.

وقد رأته ينفجر غضباً دون سبب يُذكر وهو يعمل في مشغله.. قال منتقداً نفسه:

ـ أسمح لشيء من المزاج الفني بالسيطرة عليّ لأنني عبقري.. أما سوان فلم تكن قادرة على العمل بدون كسر أداة باهظة الثمن كلما حدث ما لا يعجبها.. علمتها كيف تسير وكيف تتكلم واشتريت لها الثياب، علمتها كيف ترتديها.. كانت علاقتنا بريئة في ذلك الوقت.. لكن..

حملت تنهيدته ندماً حقيقياً:

ـ أعتقد أن من الطبيعي أن يصبح رجل وامرأة حبيبين ما داما دائماً في صحبة بعضهما بعضاً.. ثم انطلقت في عملها، وعملي معها.. ورغب الجميع في أن تعمل معه. لكن ثقتها العمياء بأحكامي كانت تعني أن تكون لي مهمة إبعاد أسماك القرش والنسور عنها.. وهذا ما سبب لي المتاعب من كل نوع لأننا بدأنا نتحرك في اتجاهين مختلفان وكانت هي معتمدة عليّ كلياً.

ـ ليس في اتجاهين مختلفين كلياً بكل تأكيد! فالتصوير وعمل العارضة يتفقان.

ـ أوه.. أجل! كان عملها.. الإعلانات والتصوير الدعائي المتهور. أما أنا فكنت أميل إلى تصوير الوجوه، وبتّ مع الوقت مطلوباً أكثر فأكثر وهذان اتجاهان مختلفان.. ولكننا كنا بحاجة إلى قاعدة ننطلق منها.. وكانت هي بحاجة إلى من يعتني بها وبأمورها.. هكذا.. تزوجنا.

سألت بهدوء: «هل أحببتها؟»

ـ حب؟ كلمة غريبة.. تغطي وراءها أشياء كثيرة، والحقيقة أنني لم أرغب قط في تحليلها.

تلقت أماندا هذه الصدمة.

ـ منع الزواج الحيوانات المفترسة من محاولة افتراسها.. صدقي أو لا تصدقي.. كانت سوان في ذاك الوقت خجولة ولطيفة، لذا عشنا لحظات رائعة..

سرح في عالم خاص به للحظات:

ـ وقعت المشاكل في وقت لاحق.. حين فقدت حاجتها إليّ.. ثم في أحد الأيام بعد ثلاث سنوات من الزواج، دخلت إلى الشقة وأبلغتني بكل برود أنها حامل.

جمدت أماندا.. كيڤن.. أب؟

ـ ثم أخذت تعلمني عن الترتيبات التي قامت بها لتجهض.. فذعرت.. وحدث بيننا شجار فاق كل الشجارات التي وقعت بيننا وقلت لها أشياء مجنونة مثل «لن تقتلي ابني أيتها الساقطة المجرمة!» فردت «من قال إنه ابنك؟». عندئذ وقفت مشدوهاً أحاول استيعاب ما قالت، ثم راحت تقول لي إنني ساذج لأنني صدقت أنها كانت وفية لي.. ضحكت في وجهي وقالت إن هناك ثلاثة رجال قد يكون أحدهم هو الأب.. فتحت

لها الباب.. خرجت منه.. وصفقته خلفها! وأقفلت الباب! حاولت اللحاق بها ولكن فكرت ما الفائدة؟ دع العاهرة تفعل ما تريد فكفاني منها ما رأيت.. ولكنها عادت بعد ثلاثة أيام وهي أشبه بالميتة بعد إسقاط الجنين.

صمت مرة أخرى فعقدت أماندا ذراعيها حوله وشعرت بألمه.

ـ لم أكره قط أحداً كما كرهتها في تلك اللحظات. طردتها.. لتأخذ معها بعد الطلاق كرامتي واحترامي لنفسي والإيمان بأية امرأة.. وقرفي من نفسي. ثم قررت المجيء إلى لندن.. كان لدي عروض كثيرة لذا لم يكن القرار متهوراً كما يبدو.

ـ وهل رأيتها كثيراً منذ ذلك الوقت؟

ـ إنها تحط عليّ كالعملة الفاسدة بين الوقت والآخر حاملة معها مشكلة من نوع ما.. وهي في الأغلب مشكلة مادية.. في الوقت الراهن تعيش عيشة جيدة ولكن إيراداتها تقل كلما تقدم بها العمر.. كنت أحل لها مشكلتها فتبتعد مجدداً. لم يعد في قلبي حقد تجاهها.. وما الفائدة؟ ولكنني بشكل من الأشكال نصف مسؤول عما وصلت إليه. والحقيقة أنها ما تزال تعتمد عليّ في كثير من الطرق وأنا أساعدها بأفضل ما أستطيع.. الغريب أن الرجل يشعر حتى بعد الطلاق بالمسؤولية نحو المرأة خاصة إذا كانت ضعيفة.

تمتم: «أماني..».

ارتدت تواجهه سامحة له بكل إرادتها أن يقربها منه.. ضمها إليه أكثر فأكثر وعندما سمعته ينطق باسمها عقدت ذراعها حوله.. القبلة التي وضعها على رأسها كانت بعيدة كل البعد عن أية رغبة جسدية وكأنه بها يبحث عن الطمأنينة الروحية التي تحتاجها هي أيضاً.. وتلاشت كل مخاوفها.. وعادت إليها ثقتها بنفسها.

وصل كابس بعد ثلاثة أسابيع من زواجها بكيڤن وهو يلوّح بإحدى

بديه ورقة تحتوي على موعد بدء تمارينها وباليد الأخرى بمجلة رماها على حجرها.

قال: «حسناً حلوتي.. لقد أنصفك عزيزنا كيڤن بلا شك.. لديه قدرة خارقة على التقاط زبدة ما في شخص ما.. أتمنى ألا يوجه تلك العدسات إلى وجهي أبداً، لأنني أخشى ما قد يكتشفه.. إنه شيطان خطير.. سأتفقد العمة روزي التي لا تبحث عما هو مخبأ في الإنسان لأنها مشغولة بأشياء أكثر إفادة، كخبز «الكايك» وأشياء أخرى».

تركها في جو عابق بعطر رجالي؛ بحثاً عما يشبع «ضرسه الحلو».

التقطت المجلة وراحت تقرأ الاسم الشهير على غلافها المصقول. تذكرت أن المقال الذي سينشر عنها موعده هذا الشهر.. وأنها بسبب ذلك المقال قابلت كيڤن. لامست ابتسامة خفيفة شفتيها وفتحت الغلاف بلهفة لترى كيف صورها كيڤن.. ثم استوت جالسة تحدق إلى صورتها الملونة وعدم التصديق على وجهها. فهمت أخيراً ما كان كابس يقصد قوله.

قال صوت عميق من خلفها:

ـ مادونا الفضية.

انتفضت أماندا ذعراً لأنها لم تنتبه له عندما دخل.

اعترضت عليه: «لا تنعتني بهذا».

مد يده يلتقط المجلة وتأمل عمله للحظات طويلة. ثم تقدم إليها وضمها من الخلف. ودفع المجلة أمامها:

ـ انظري إليها.

عندما نظرت أماندا التوى ثغرها بسخرية.

كان الفستان الأحمر القاتم الذي ارتدته عندما التقط لها هذه الصورة غالي الثمن ومحتشماً وكان شعرها منسدلاً حول كتفيها.. لقد استخدم كيڤن الأنوار بمكر بحيث التقط أكثر خصلات شعرها اشقراراً فشعّت

كالحرير الأصيل. أما عيناها الزرقاوان القاتمتان فكانت تحدقان من وجه هادىء فاتن.. ولاح على ثغرها التواء بسيط سري يظهر أن شيئاً ما يجري وراء قناعها الساكن.

أجل.. إنها تبدو كلوحة المادونا.. لكن هناك شيء آخر.. شيء أكثر فتنة له علاقة بابتسامتها.

قال بهدوء: أمضيت ليال طوالاً أتساءل عما كان يدور في رأسك في اللحظة التي التقطت الصورة.. كان ذلك في عينيك وفي ابتسامتك الغريبة على شفتيك، وجعلتني عجرفتي أرغب في معرفة الأسرار التي كنت تفكرين فيها.

ـ لكنك لم تسألني يوماً.

ـ صحيح.. أظنني كنت خائفاً من الرد.

قالت بصوت رقيق:

ـ كنت أفكر فيك.

ـ فيّ أنا..؟

هزت رأسها: إنه التجاذب المهلك.. نظرة واحدة ووقعت في فخك.

أضافت في سرها: بل وقعت في حبك.. هذا هو السر وراء تلك الابتسامة.

تمتم مجدداً: أنا.. ألم تعجبك الصورة؟

ـ إنها.. جميلة.

ـ بل أنت الجميلة! فكل ما فعلته هو البحث عما هو أساسي فيك.. ذلك الجزء الصغير الذي تحاولين إخفاءه عن العالم.

ابتسمت بحنان لعينيه العقيقيتين.

ـ هذا ما قاله كايس.. قال إنك مبدع في التقاط أسرار الجمال في شخص ما.

ارتفع حاجباه دهشة:

ـ حقاً؟ إذن لديه إحساس وبعد نظر أكثر مما كنت أظن.

ـ شكراً لك صديقي القديم.

إنه صوت كايس الذي علا من الباب والذي تقدم وكأنه مالك المكان.

ـ هل تُصدق حظ رجل جائع؟ العمة روزي لم تخبز قطعة بسكويت! كان يجب أن أعرف أن حظي سيء منذ البداية.. كيڤن يفتن أفضل ممثلة لدي وبخطفها إلى القفص الذهبي والعمة روزي لا تترك علبة البسكويت محشوة، لضيفٍ غير متوقع.. وذلك الكلب الغبي يحاول عضي!

بدا غاضباً بحيث اضطرت أماندا للتقدم إليه وعناقه..

أضاف: بل لا أراني قادراً على الحصول على قبلة ترضية من فتاتي المفضلة بدون أن يراقبنا أحد. المكان السيء يعطي ذبذبات سيئة، ويفسد جهاز التلقي.. وهو سيء للهضم.. سيء..

ارتفع صوتان دفعة واحدة: اصمت كايس!

أخذت أماندا دور البطولة في المسرحية. وعادت إلى المنزل مشرقة فرحة تبحث عن كيڤن لتخبره.. فسألها:

ـ ما موضوع الرواية؟

كان قد عقد ذراعه حول كتفها وهما يخرجان من مشغله بعدما أرسل معاونيه إلى منازلهم.

ـ عن الأرستقراطية الفرنسية الحديثة حيث لا يزال الزواج المدبر سائداً! ألعب دور ابنة وحيدة لكونت ثري على وشك أن تتزوج من ثري يفوقها ثراء ولكنها لا تطيق منظره.. فهو متعجرف ومتحفظ بطريقة متعالية وهو متأكد من قبولها وهذا ما يجعلها تغلي غضباً في أعماقها.

دخلا إلى المطبخ وهناك حضرت أماندا القهوة، أما كيڤن فجلس إلى المائدة.

www.elromancia.com

- تبرز الرواية الضغط الذي يُمارس على البطلة من قبل عائلتها ومقاومتها لهم.

- وهل ينتهي بها الأمر للزواج به؟

- أجل.. إنما لهدف شريف.. وذلك بعدما أركعت المتعجرف الشيطان على ركبتيه.. إنها مسرحية ذكية جريئة وفيها كثير من الحركة التي تسيطر على المشاهد.

- ومن سيلعب دور البطل المتعجرف؟

- ماتيوس آشلي.

راقبت كيڤن وهو يتحول من مستمع كسول إلى زوج متملك غيور.

- آشلي شخص خليع!

- وهذا ما يقال أيضاً عن كيڤن لوكهارت.

سأل: هل هناك مناظر خليعة؟

- في عمل مسرحي؟ أنت تمزح! كاتبها بارع لذا لن يلجأ إلى مثل هذا الأسلوب الذي يسعى إلى الإثارة لضمان النجاح.

- سأحذره.. فمن المشهور عنه أنه لا يألو جهداً في إقامة علاقة مع الممثلة البطلة في مسرحياته.. وسأحذره قبل أن يبدأ المحاولة.

اعترضت قائلة: «لن تقدم على شيء كهذا».

ثمّ هدأ غضبها ولكنها رغبت في إثارة النمر الهاجع قليلاً..

- ما دمت قادرة على السيطرة على غوريلا ضخم مثلك فسيكون ماتيوس آشلي مجرد لعبة.

استقام كيڤن ببطء وراقبته وهو يرتد ليواجهها بعينين صفراوين ضيقتين.

- بم نعتني؟

- غوريلا.. كبير.. ضخم.

ثم ضحكت بتوتر وهي تراه يقف ومدت يديها أمامها بتوسل..

وقالت ضاحكة:

- لا.. كيڤن.. لم أعن هذا.. صدقاً.. كنت أمزح، مجرد مزحة!

أمسك بها عند الباب، فصرخت.. قال:

- أردت اصطحابك إلى الخارج لتناول العشاء، لكنني غيرت رأيي.. وسنبقى هنا لأريك ميزات الغوريلا.

مررت لسانها على شفتيها:

- حاضر كيڤن.

ارتفع حاجباه الذهبيان سخرية:

- هل أسمع رنة خضوع المرأة في صوتك؟

- أجل كيڤن.. فالقرود الضخمة الذهبية هي نقطة ضعفي، وأنا خجولة من الاعتراف بهذا.

- وماذا عن القرود الكبيرة السوداء الشعر مثل ماتيوس آشلي؟ أهي نقطة ضعف أخرى لديك؟

رفضت الرد ونظرت إلى وجهه بعناد ساخر.

حذرها برقة:

- سأجبرك على الاعتراف أماني.

ردت في سرها: وأنت قادر على هذا.. وهو ما أنتظره.. وشدت فمها بقوة.

كيڤن محب مستبد، يحب السيطرة عليها بدقة الخبير المتمرس وهو يظهر لها أبعاداً جديدة من حبهما مع كل لحظة تمر.. كان حساساً، خيالياً، وقبل كل شيء صبوراً.. لم يكن ظالماً أو أنانياً.. علمها كيف تعرف نفسها بشكل كامل، وراح حبها يزهر كزهرة نادرة.

مضى الشهران التاليان وهما في نعيم وسعادة مع أن أياً منهما لم يعترف للآخر بالحب.. فلم يكن يبدو الآن مهماً.. فهو موجود بدون

التصريح به.. هو مرأيٌ كلما تبادلا النظرات. أما الجميع فكان يرى هذا الحب، ويبتسم معرفة به.. ثم شاع في جميع الأوساط خبر زواج المتألق اللامع كيڤن لوكهارت بالجميلة الشهيرة أماندا هاموند.

تتابعت حياتهما برتابة وتجانس. كانت أماندا تذهب إلى التمارين المسرحية كل صباح وكان كيڤن يذهب إلى مشغله ولكنهما كانا يطهوان الطعام معاً ويسهران معاً ويتكلمان عن متاعب يومهما وهما يحتسيان القهوة أو الشاي..

مرت الأيام بسهولة وهناء، ولم يكن هناك ما يعكر صفوهما إلا البدء بمسرحيتها.. وهذا يعني العمل ليلاً.. فهي لا تعرف كيف سينقبل كيڤن الأمر.. فلم يسبق أن تباحثا هذا الموضوع ولكن عليهما بحثه قريباً.

اليوم هو عيد مولد كيڤن.. وليس في نيتها إفساد اليوم بمناقشة ما هو جاد.. اليوم بالذات سيقام حفل صغير بالمناسبة، يحضره كيڤن وكايس والعمة روزي وأماندا بالتأكيد.. عندما كانت تستعد شعرت بإثارة طفولية تسري في عروقها.. وحدها حفلات عيد الميلاد تحمل هذه الإثارة في هذه الأيام.. إنها فكرة قالب الحلوى وكل ما يرافق الحفل من بهجة.. وسعادة مراقبة المحتفى به وهو يفتح هداياه.

وصل كايس باكراً قبل خروج كيڤن من مشغله.. وفي هذا الوقت كانت أماندا في الطريق لتسأل العمة روزي إن كانت بحاجة إلى مساعدة..

رن جرس الباب فصاحت: «سأفتحه أنا»

فتحته فوجدت كايس بالباب وهو مرتد سترة سهرة بيضاء براقة، وقميصاً أسود.. كان معه هدية كبيرة مبهرجة الألوان يحملها في يد وفي الأخرى باقة زهور.

شهقت: «أوه.. هذه لي؟»

أخذت الزهور منه وراحت تتنشق عبيرها بسرور مصطنع، فهي تعرف أن الزهور للعمة روزي.. فكايس من أخلص متذوقي طعامها.. لكنها لا تستطيع مقاومة ممازحته.

تورد وجهه بشدة.. وبدا مرتبكاً للحظة، ثم حاول بجهد جمع نفسه وقال مبتسماً:

ـ بالطبع هي لك حلوتي! أعني لمن قد تكون غيرك؟

ومض المكر في عيني أماندا وهزت رأسها:

ـ لا..! أستطيع معرفة الحقيقة من النظر إلى وجهك كايس.. لقد أخطأت التقدير.. ولأنك لطيف لم ترغب في تخييب أملي.

بدت الراحة على محياه ولكنها أردفت:

ـ إنه عيد مولد كيڤن وهذا يعني أنها له.

فقد المسكن توازنه مجدداً وقال: «لكن..».

ـ كيڤن يحب الزهور.

ـ حقاً؟

ـ صدقني.. إن قدّمت له الزهور تأثّر كثيراً.

وكأنما سمع اسمه فقد ظهر كيڤن في منبسط الدرج في الأعلى وراح ينظر إليهما. رفع كايس رأسه إليه ثم هز كتفيه باستسلام.. وضع اللفافة على الطاولة ثم صعد الدرج وقدّم باقة الزهر لكيڤن.

ـ ميلاد سعيد.

أجفل كيڤن: «لي.. أنا؟»

أخذ الزهور ونظر إلى وجهه المتردد ثم نظر بعينين ضيقتين إلى وجه أماندا الذي تبدو عليه البراءة.. هز كتفيه العريضتين وتمتم:

ـ زهور.. هه؟ شكراً كايس.. تأثرت كثيراً.

وقال لأماندا:

ـ عشر دقائق فقط.. سأستحم وأنضم إليكم.. كايس رجل دمث

الأخلاق. . أشير بذلك إلى باقة الزهور! سأذهب لأضعها في الماء قبل أن تذبل.

ابتعد وهو يصفر سعيداً، ولكنه كان يبدو سخيفاً وهو يحتضن باقة الزهر الكبيرة.

* * *

٨ ـ إعدام حب

تأخر كيڤن نصف ساعة قبل أن ينضم إليهما. . كانا جالسين حول المائدة ينتظران قدومه فدخل مرتدياً قميصاً حريرياً عاجياً وسروالاً بلون الشوكولا. وكان يمسك بين يديه مزهرية نحاسية فيها زهور مزينة بأجمل طريقة وأروعها. . قدمها إلى العمة روزي مقبلاً إياها وشاكراً ما بذلته من عناء في التحضير لعيد ميلاده.

قالت العمة روزي بفخر:

ـ ما أجملها عزيزي كيڤن!

قال كايس: «خُدعت».

قالت أماندا: «أنا التي خُدعت!»

ابتسم كيڤن مبدياً أسنانه البيضاء، أما العمة روزي فأفسحت مكاناً لآنية الزهور في نهاية المائدة وهي لا تدرك معنى النكتة الدائرة بين هؤلاء الثلاثة.

كان ذلك مثالاً سارت عليه الأمسية. بعدما أكل الجميع وامتلأت بطونهم، قدمت له العمة روزي هديتها التي هي كنزة جميلة محبوكة يدوياً كلفتها بلا ريب شهوراً من الكدح بأصابعها المريضة.

ارتداها كيڤن وأصر على بقائها مع أن وجهه تورد بسبب وجود التدفئة المركزية ثم قدم كايس هديته الحقيقية في صندوق مربع عميق، جعلت رقاب النسوة ترتفع فضولاً لرؤية ما في داخلها.

صاحت أماندا حالما رأت ما في الصندوق:

ـ لم ألعب هذه اللعبة يوماً! هلا لعبنا بها بعد تنظيف المائدة؟

سألت العمة روزي: «أهي كالمونوبولي عزيزي؟»

قال كيڤن:

ـ لا.. بل تشبهها ولكنها لعبة بحاجة إلى معلومات عامة.

خاب أمل العجوز:

ـ أوه.. كنت أحب اللعب بالمونوبولي.. ولكنني غير بارعة في المعلومات العامة.

قال كيڤن: «ستستمتعين بها.. إنها تدعى لعبة المطاردة، وهي مسلية لكنها تتطلب معلومات عامة».

جاء دور أماندا لتقدّم هديتها التي وضعتها بوقار أمامه.. جلست والقلق يساورها.. وبدا أن الجميع يشعرون بأن شيئاً ما على وشك الوقوع. ران الصمت في الوقت الذي كان كيڤن يفتح هديته.. كان كيڤن جاداً، حركاته بطيئة، وكأنه يخاف أن ينظر إلى ما في العلبة الطويلة المستديرة. ألقى نظرة على وجه أماندا الشاحب فلاحظ أنها تجلس ويداها مضمومتان في حضنها وأنها تتجنب النظر إلى عينيه.. وفتح غطاء العلبة.

ساد صمت طويل مقطوع الأنفاس، فيما كان كيڤن ينظر إلى ما في العلبة بوقار.. ثم سحب الهدية بعناية فائقة ووضعها على الطاولة ليراها الجميع.

صاح كايس بأنفاس مقطوعة:

ـ يا الله أماني.. أين وجدتها؟

ردت بتوتر: «إنها واحدة من مجموعة محدودة».

لم يقل كيڤن شيئاً.. كان عليها أن تقدّمها له وهما بمفردهما فهي هدية محض شخصية.

ـ اشتراها صهري بناء على طلبي.. من نحات في رودس.

وكأنما لم تستطع أماندا السيطرة على نفسها فمدت يدها تمرر أصابعها على التمثال الذهبي بدءاً من الرأس المتكبر نزولاً إلى الصدر الرائع فالقدمين المنفرجتين في خطوة متعجرفة فوق صخرة مصقولة.

ذكرت اسم التمثال الرائع.

ـ إنه «كالوسوس» حامي رودس!

كادت تقفز منتفضة حين مد كيڤن يده يمسك بأصابعها، ويضغط عليها بشدة قبل أن يرفعها إلى شفتيه.. لم تستطع النظر إليه فالخجل غلفها كلياً.

قالت: إنه أحد عجائب الدنيا السبع الذي كان يشرف على مدخل الميناء بساقيه الضخمتين.. أقامه أهل رودس تخليداً لذكرى نجاتهم من حصار دام اثني عشر عشراً وخصصوه للإله هيليوس، إله الشمس الوثني.. وكانوا يؤمنون أن رودس لن تتعرض للأذى ما دام منتصباً، وقد بقي واقفاً سبعين سنة ثم هدمته هزة أرضية.. إنه رائع.. أليس كذلك؟

قالت العمة روزي: «إنه يشبهك أليس كذلك عزيزي كيڤن؟»

رد كيڤن موافقاً بصوت أجش: «أجل.. إنه أجمل هدية تلقيتها في حياتي.. شكراً لك أماندا.. سأحافظ عليه وكأنه كنز ثمين».

أرادت أن تقول: إنه هدية حبي! لكنها عرفت أن من الخطأ الاعتراف بهذا.

دعك كايس ذقنه مفكراً ثم تمتم:

ـ زاكاري كاڤلوس هو من نحت هذا التمثال.. فهو مشهور عالمياً في نحته لأشياء كهذه.. ثمنه مرتفع أماني.

ضحكت أماندا لتخفف قليلاً من توترها.

ما زالت يدها في يد كيڤن وعرفت أنه يريد منها أن تنظر إليه.. ولكن خديها كانا متوردين، وفي عينيها قلق وخجل لهذا احتاجت إلى شجاعتها كلها لترفع عينيها إليه.

بدا وقوراً جداً.. لكن عندما نظرت إلى عينيه الصفراوين تحولتا إلى عقيق قاتم خطفتا أنفاسها بسبب الرسالة الصامتة التي رأتها فيهما. رفع يدها مجدداً وقبّل كفها.. وكرر: «شكراً لك».

التفت إلى كايس: فلنلعب لعبة المطاردة.. بإمكان أماندا مساعدة العمة روزي في تنظيف المائدة..

اتهمته صائحة: «متعصب! شوفيني!»

شكلوا فريقين للعب، النساء ضد الرجال.. كان الرجلان واثقين أنهما سيمسحان البلاط بأماندا والعمة روزي ولكنهما لم يستطيعا الصمود أمام سيدة عجوز اكتسبت معلوماتها العامة من سنين طويلة، معلومات تعلمتها وهي لا تدري أنها تعرفها.

ربحت السيدتان اللتان رفعتا أيديهما حبوراً.. بعد ذلك غادر كايس المنزل وتوجهت العمة روزي إلى النوم..

اقتادها إلى غرفتهما وذراعه حول كتفها وتمثال كولوسوس في اليد الأخرى.. وفي هذا الوقت كانا يتجادلان عن هوية من ربح الحرب العالمية الثانية: تشيرشل أم جون واين.

لكن ما إن أدخلها إلى غرفتهما حتى عانقها بحنان غير معقول جعل قلبها يرقص جذلاً.

قال يمازحها ويداه على خصرها:

ـ كالوسوس.. هه؟

تمتمت: «أنت إله الشمس بالنسبة لي».

تنهد وقال بصوت مرتجف:

ـ تُشعرين الرجل بأنه مميز.. تعالي فأنا أشعر أنني باق خالداً ما دمت معي.

يا له من اعتراف بالحب.. لكنه ليس الحب الذي تريد..

قالت: «غداً موعد أول تمرين بالملابس الكاملة».

انتهى أول تمرين بالملابس، وكانت أماندا مرهقة.. فقد جرت جميع الأمور بالمعكوس، فما أكثر ما نسيت الجمل التي كان عليها قولها. وما زاد الطين بلة المشاكل التي حدثت في ديكور المسرح والأبواب التي لم تنفتح والإضاءة التي لم تظهر في الوقت المناسب والوعاء الفضي الذي وقع على قدم مانيوس آشلي الذي أخذ يعرج وهو يخرج من المسرح غاضباً.

أوقفت أماندا سيارتها الصغيرة أمام المنزل وجلست تسند رأسها إلى الوراء متنهدة بقوة.. فقد كانت مرهقة أشد الإرهاق ومعدتها تتقلص وهو أمر سيلازمها حتى موعد افتتاح المسرحية، أما أعصابها فكانت متوترة توتراً يجعلها غير قادرة على الحراك. جمعت أغراضها وترجّلت من السيارة متعبة.. ولم تكن تفكر إلا في الجلوس في حوض الحمام الواسع في جناحهما.. لذا كانت ابتسامتها للعمة روزي هشة.

رفعت عينين متعبتين وقالت:

ـ مرحباً حبيبتي.. أما زال كيڤن في مشغله؟ أنا متعبة.

بدت العجوز متوترة الأعصاب بشكل غريب.

ـ هل من خطب؟

همست روزي: «إنها هنا! تلك المرأة!»

أحست أماندا بالبرد يغزو كيانها.. فثمة شخص واحد تشير إليه العمة روزي بتلك المرأة.. زوجة كيڤن.. السابقة.. ماذا تريد من كيڤن هذه المرة؟ شعرت برغبة في التحري عن الأمر.

ـ أين هما؟ فوق؟

هزت العجوز رأسها نفياً وأشارت إلى غرفة الاستقبال التي نادراً ما تستخدم:

ـ هناك.. كان عنده بعض اللباقة ليبعدها عن جناحكما.. إنهما في الداخل منذ ساعة وأكثر.. لقد تجاوزتني وكأنني خادمة.. يا لتلك السيدة

www.liilas-romancia.com

المتعجرفة الحقيرة..

وضعت أماندا يداً لتهدىء روع العجوز المضطربة:

ـ لا بأس عزيزتي.. سأنضم إليهما.

بذلت أماندا جهداً لتجمع أحاسيسها المتوترة ولكنها أخيراً توجهت إلى غرفة الاستقبال ووقفت لحظة أمام الباب لتنظر إلى سروالها الرياضي الأبيض وإلى القميص الأزرق الشاحب، ستشعر بلا ريب بأنها أقل شأناً أمام العارضة «الجميلة».. رفعت ذقنها تستحضر كل تدريبها القاسي الذي تتطلبه مهنتها، ثم رفعت شعرها إلى الوراء وأرسلته كالستارة على كتفيها وفتحت الباب وخطت بهدوء إلى الداخل.

صدمها جو التوتر السائد.. كانا واقفين في وسط الغرفة يتحدثان بصوت منخفض أجش ولكن سرعان ما توقفا ما إن رأياها.

قالت ببراعة الممثلة المشهورة: مرحباً.

توجهت مباشرة إلى كيڤن ورفعت نفسها لتطبع قبلة سريعة على خده وهذا ما تفعله دائماً لدى وصولها.. ولكنها وجدته كلوح من خشب.. وجهه كصخر أبيض منحوت.. والأنكى أنه لم يرد قبلتها أو يبتسم أو يلتفت حتى.. فأحست بألم كبتته أمام المرأة الأخرى.. ابتعدت عنه متوردة الوجه وارتدت إلى سوان التي تراقبهما باستغراب.

قالت بلطف: أنت سوان بلا ريب.. عرفتك من وجهك.. نسرني مقابلتك.

مدت أماندا يدها ووسعت ابتسامتها، فهزت المرأة الأخرى رأسها الأنيق التصفيف ولم تتحرك لتصافح اليد الممدودة.. بعد لحظة توتر أنزلتها أماندا إلى جانبها وقالت تعرف عن نفسها:

ـ أنا أماندا هاموند لوكهارت.. يبدو أن كيڤن قد أحسن التصرف.

أضافت في سرها: وبأكثر من طريقة.. لأنه لم يعترف حتى الآن بوجودها.

قالت المرأة السمراء: «سمعت بك».

جاء صوتها هامساً أملس فشعرت أماندا وكأنه أفعى تتسلل إلى بشرتها.. رفّت رموشها الطويلة فبانت عينان سوداوان غريبتان اشتهرت بهما.. راحتا تطوفان بأماندا ثم ارتدتا إلى كيڤن.. وتمتمت:

ـ أعتقد أن عليّ الذهاب في الوقت الحاضر.. اتصل بي حبيبي.. بعدما.. تدبر أمورك هنا.

أجفل كيڤن بحدة.. كان ملء الجوء التوتر.. انتظرت المرأة رد كيڤن الذي بدا غير قادر على النطق بكلمة واحدة أما أماندا فنظرت إليه بغضب حائر.

قاطعت أماندا الصمت مضطربة:

ـ اسمع.. يبدو أنني قاطعت شيئاً.. خاصاً. سأترككما بمفردكما ثانية.. أعذراني على تطفلي.

ارتدت بحدة وتوجهت نحو الباب وهي غير قادرة على التنفس.. وكانت صفعات الغضب والسخط والضيق والإذلال تحط عليها. ألم يكفها هذا اليوم ومشاكله حتى وجدت جواً مضطرباً وامرأة تنظر إليها من وراء أنفها الجميل؟ هذا وحده كاف ليفور الدم في كيانها.. عندما كانت تهمّ بإمساك قبضة الباب عاد كيڤن إلى وعيه وأوقفها.

ـ لا!

بدا صوته متحجراً كحبل مشدود يحتك بالخشب فأثر صوته في أعصاب أماندا بالطريقة عينها.. ثم أردف بصوت هادىء بعض الشيء:

ـ لا أماني.. أرجوك انتظري..

ارتدّ إلى زوجته السابقة:

ـ سوان؟ سأتصل بك.. هه؟

كأنه يتوسل المرأة الأخرى أن تفهم! فعاد الغضب يصفع أماندا مجدداً.. أضاف بصوت أجش بسبب تردد سوان كورتيز:

ـ أرجوك.

راحت العينان السوداوان تنتقلان ما بين كيڤن وأماندا، ثم هزت كتفيها النحيلتين وسارت بعدم اكتراث.

إنها فعلاً مذهلة الجمال.. دمها اللاتيني أكثر بروزاً في وجهها المثير الغاضب وثغرها المطلي بلون الدم.

استسلمت بهدوء قائلة:

ـ حسناً.. تعرف مكان إقامتي حبيبي.. سأنتظر سماع صوتك.

ارتدت وسارت في حركة رشيقة وعلى وجهها قناع من النصر الساخر جعل أماندا تبتعد عن الباب قبل أن تصل المرأة الأخرى إليه.. ابتسمت سوان كورتيز بسبب هذه الحركة، ثم خرجت بهدوء من الغرفة تاركة وراءها جواً مشحوناً لم تشهد أماندا مثله قط.

وقفا كصنمين يصغيان إلى وقع أقدام سوان.. ثم انفتح الباب الأمامي وانغلق. عندئذ أطلقت أماندا نفساً طويلاً لم تكن تدري أنها تحبسه.

قالت ببرود: «حسناً.. ما كان كل هذا؟»

لم يرد كيڤن. نظرت إليه فإذا هو ما يزال في وسط الغرفة يحدق إلى لا شيء. بشرته الرمادية تدل على أن ما حدث قبل دخولها أفقده توازنه المعتاد..

إنها تؤثر فيّ.. قالها لها مرة.. أحست بنذير شؤم يأتي مع الذكرى.. لقد أثرت سوان كورتيز بكل تأكيد فيه اليوم.

دلكت جبينها بيد مرتجفة ثم دنت من كرسي جلست عليه بحذر.

تحرك أخيراً وتقدم إلى إبريق القهوة الكهربائي فسكب لنفسه فنجاناً.. كانت يده ترتجف وهو يرفع الفنجان إلى فمه. سألته بهدوء:

ـ ما الأمر كيڤن؟

لم يرد.. بل اقترب من النافذة فحجب جسده الضخم نور الخارج.

قال فجأة بحيث أجفلها:

ـ وصلت هذا الصباح من نيويورك.

ـ لتعمل هنا؟

هزّ رأسه نفياً: بل لتراني.

همست: «هكذا.. إذن».

تمتم: لا، لم تفهمي.

بدا أنه استجمع قواه إذ ارتدّ لينظر إليها، ثم تقدم ليجلس قبالتها:

ـ اسمعي أماني.. سأحاول شرح أمر ما بدون.. لا أعرف كيف أبدأ..

تلعثم مرة أخرى فضمت أماندا يديها معاً، واشتدت أصابعها.

ـ لقد تكلمنا مرة عن زواجي بسوان.

هزت رأسها إيجاباً.

ـ تعرفين أنني وجدت صعوبة في تخليص نفسي من زواجي بها.. وتعرفين أنني أشعر تجاهها بالمسؤولية.

راقبته أماندا وكأنها لا ترى شيئاً مما حولها.

ـ أخبرتك بشأن عملية الإجهاض؟

هزت رأسها إيجاباً.. ولكن حدسها أنبأها بأنه على وشك أن يدمر حياتها.

ـ هي تقارب الثلاثين الآن.. وعملها يكاد يأفل. عمل العارضة جيد ما دام مظهرها جيداً.. وسوان تذبل. في العام المنصرم قابلت رجلاً.. إيطالياً ثرياً ووقعت في حبه. طلب منها الزواج، فسبحت في السماء السابعة ووجدت أن مستقبلها بات في أمان مع رجل تحبه وتظن أنه يحبها.

صمت قليلاً، فقالت أماندا:

ـ يسرني أن تجد أخيراً من تحبه.

هز رأسه: ليس الأمر هكذا.. كان كل شيء يسير جيداً.. ثم أدخلت فجأة إلى المستشفى بسبب ألم في الزائدة الدودية.

قالت مشفقة: «أنا آسفة كيڤن.. لا شك أن ذلك محنة..».

هز رأسه مجدداً، وقد عادت نظرة الألم:

ـ كانت المسألة أخطر من هذا.. بعد معاينة دقيقة تبين.. تبين..

ولم يستطع إتمام جملته.. فمدت يدها إليه ولكنه ابتعد قبل أن تلمسه ووقف يبتعد متوجهاً إلى النافذة:

ـ تبين أن عندها عيباً.. عملية الإجهاض.

ابتلع ريقه: عملية الإجهاض دمرت كل فرصة لها للحمل مجدداً.

ـ يا للمسكينة! يا لصدمتها!

أردف كيڤن: تخلى عنها.. ذلك النذل القذر رافضاً الزواج بها لأنها لن تنجب له أطفالاً! فحطمها هذا وتركها مذهولة عدة أشهر. عملت، نامت، وعملت المزيد، ثم انهارت أخيراً..

صمت مجدداً ثم قال بفظاظة:

ـ لم أعرف بهذا كله.. لم تخبرني شيئاً.. كنا دائماً.. على اتصال.. مع ذلك لم تخبرني شيئاً. كنا مقربين.. اللعنة!

أصاب غضبه أماندا بنفاد الصبر.. ما يقوله قصة تراجيدية حزينة.. ولكنها تعرف أنه لم يتطرق إلى لب الموضوع.

وقفت لتواجهه بعناد، وسألت:

ـ إلى أين يقود كل حديثك هذا كيڤن؟ أفهم تكدرك.. والله أعلم أن لا أحد من البشر يحب سماع بؤس شخص آخر.. مهما كانت الظروف.. ولكنك لا تسرد عليّ ما تسرد بغية اطلاعي على مأساتها بل هناك أكثر من هذا.. فما هو؟

ارتدّ بعنف ووضع فنجانه من يده بقوة:

ـ لقد أعدمت.. انتهى أمرها! ذهب مستقبلها العملي وخبا جمالها وولّى مستقبلها، لقد دمّرت أحداث الماضي فرص سعادتها.. إنها بحاجة إليّ! وأنا.. أنا لا أستطيع أن أدير ظهري لها.. لا أستطيع!

وعت أماندا أن الأمور تكاد تصل إلى النهاية.

التوى ثغرها بمرارة وقالت ساخرة:

ـ وهذا يعني ماذا.. بالضبط؟ هل دعوتها لتقيم هنا معك؟ أهذه هي المسألة؟ دعوت سوان إلى هنا وتريد مني أن أرحب بها بذراعين مفتوحتين؟

ـ أنا أطلب منك الطلاق أماندا لأستطيع أن أتزوجها مجدداً.

ـ ماذا؟

حدقت إليه بذهول كامل.. وراح الصمت يطبق على أذنيها اللتين لم تصدقا ما سمعته.

نظر كيڤن إليها باكتئاب وكرر بلطف شديد:

ـ سأتزوجها مجدداً.

سرى في أوصال أماندا برد شديد وهزت رأسها رافضة تصديق ما تسمع.. ولكن كيڤن نظر إليها بعينين متألمتين رافضاً سحب كلامه الذي انتزع الحياة من جسدها.

تنفست بهمس مرتجف: «لا.. أنت لا تعني هذا حقاً».

امتدت يده بتوسل وقال بصوت أجش:

ـ أنا آسف.

قالت وهي تحاول إيجاد عذر له:

ـ أنت مرهق.. أنت لا تعني ما تقول! لن تفعل هذا بي.. بنا معاً!

لا جواب.. لا شيء سوى وجه منهك يرفض التراجع.

أردفت بصوت مرتعش: «لقد لفقت عليك أدواراً! رواية رائعة! وأنت.. أنت تشعر بالصدمة والرهبة، وهذا حقك! ولكنني لا أصدق أنك على هذه الدرجة من السذاجة والرقة بحيث تذهب بعيداً إلى حد..»

ـ أرجوك.. حاولي فهمي أماندا..

ـ إنها كاذبة فاسقة مخادعة متآمرة.. وأنت تعرف هذا!

لم يحاول الدفاع عن المرأة الأخرى بل وافقها الرأي:

ـ إنها كل ما وصفتها به.. ولكنني ساهمت في ما أصبحت عليه.. أنا الذي أوصلتها إلى ما هي عليه ويجب عليّ تحمل النتائج.

لا يمكنه أن يفعل هذا بها! لا يمكنه أن يعرّضها لكل هذا! ارتفعت يدها إلى رأسها وغطت عينيها المتألمتين، ارتدت مبتعدة غير قادرة على الوقوف لكنها عادت تنظر إليه بحدة، وصاحت: «لكنك تحبني!»

تصلب كيڤن:

ـ لم أستخدم هذه الكلمة قطّ.

ـ أنت تحبني! وأنت زوجي!

ابيضّ وجهه: «أريد منك الموافقة على الطلاق لأتزوجها».

نظرت إلى وجهه ملياً لتستوعب الحقيقة المكتوبة عليه.. التوى ثغرها وتحوّل وجهها الجميل فجأة إلى خطوط قاسية.. فقالت لتهزأ من نفسها:

ـ لماذا تزوجتني؟ هل الزواج لعبة؟

ارتفع صوتها مع ارتفاع ألمها وبرقت عيناها بسبب دموع لاحت في مآقيها.

أضافت: «أحببتها دائماً! بل لم تشعر قط تجاهي بشيء حقاً! كل ما كان عليها أن تفعل هو أن تدخل إلى هنا.. و..».

قاطعها بصوت أجش:

ـ لا تقولي هذا أماندا.. تعرفين أنني لست هكذا. أنا..

صاحت: «لا أصدق أنك تفعل هذا بنا!»

انسكبت الدموع وارتفعت يدها فوق قلبها الدامي:

ـ لا أصدق أنك قادر على إيقاع مثل هذا الألم بي!

اهتز جسده كله بسبب العذاب الذي رآه في وجهها، حدق مذهولاً إلى الدموع المتساقطة على وجنتيها وتأوه بصوت مخنوق:

ـ أماندا.. إنها عاقر.. عاقر! ألا تفهمين حبيبتي؟ لو أوقفتها عن

الخروج ذلك اليوم.. ولو خرجت وراءها ومنعتها من الإجهاض لما تدمرت حياتها هكذا! طالما أدرت لها حياتها.. كل ناحية منها! ولم يكن من حقي سحب هذا الدعم في تلك اللحظات الحاسمة!

صاحت: «لكنه لم يكن طفلك! كانت خائنة غير مخلصة للقسم الذي كنت أنت تقدسه! كانت تحمل طفل رجل آخر.. ثم تخلصت منه وكأنه ثوب قديم بال لم تعد تريده! كيف تلوم نفسك لمجرد شعورها بالندم على ما فعلت؟».

جادلها متعباً:

ـ لا يهمني طفل من كان! تعلمت أن تتكل عليّ في كل شيء مدة أربع سنوات.. ولا أستطيع أن أتجاهل أنني السبب في ما حصل لها!

سألت بألم:

ـ وماذا عني؟ ماذا عني وعما تفعله بي؟

ـ أنت قوية أماندا.. وستعيشين.. أما هي فلا.. هي غير قوية أبداً لذا عليّ الإمساك بيدها مجدداً.

نظرت إليه عبر ضباب دموعها السخينة.. وردت لها الهزيمة نظرتها.. فاستسلمت وهبطت كتفاها اللتان سرعان ما رفعتهما مجدداً، لأن الكبرياء تغلبت على كل شيء آخر.

قالت بصراحة وذقنها مرفوع:

ـ أنت غبي كيڤن.. أنت تحبني وتنوي رمي كل شيء عرض الحائط بسبب فورة ضمير ستزول مع الصباح حيث ستشعر بالفراغ والدمار كما أشعر الآن.. حسناً.. هذا حقك.. ولا حق لي في مناقشة قرارك.. لأنك لم تسمح لي قط بمناقشتك.. لكن عندما تصدمك الحقيقة وتدرك خطورة ما فعلت لا تسع إليّ بحثاً عن العزاء عندي.. لأنك لن تجده عندي أبداً.. سأذهب الآن لأوضب أغراضي. أما الطلاق فأنا موافقة عليه... أرسل إليّ الأوراق متى شئت لأنني لن أقف حجرة عثرة..

سارت شامخة الرأس ولكنها رجت ربها ألا تنهار ساقاها من تحتها.

ـ أماندا..

انتفضت ولكنها لم تتوقف بل همست:

ـ على الأقل اتركني وكرامتي كيڤن.. لقد بترت مني كل شيء آخر.

وخرجت من الغرفة.

***

٩ ـ غروب الحب

كانت أماندا توضب حقائبها حين ظهر كيڤن بباب غرفتها.. استند بيديه إلى الباب منهك الوجه متألماً، متوتراً.. بدا رجلاً مشتتاً عاطفياً.. تجاهلته أماندا وراحت تنتقل من الخزانة إلى الحقيبتين المفتوحتين فوق السرير.

لم تغير ثيابها.. ولم تستحم كما وعدت نفسها.. كان شعرها الأشقر الشاحب يلعب دور ستارة تخفي وجهها البارد الخالي من الدم.

لم يتكلم كيڤن ولم يتحرك، بل وقف هناك يسدّ الباب بجسمه الضخم المتوتر وعيناه ضيقتان شاحبتان تبرقان بشكل غريب، وهما تلاحقان كل تحركاتها وهي توضب أغراضها. كان الجو مشحوناً بشيء لم يسبق أن شعرت بمثله إلا مرة واحدة حين قتل والديها.. وكان وضعاً طالما تمنت ألا تواجهه مرة أخرى. إنه وضع يبطيء الأحاسيس ويخدر الأعصاب بحيث يحتاج المرء إلى تركيز عميق لمجرد القيام بأبسط الأعمال.. في أعماقها كانت تشعر بالبرودة فمشاعرها مغطاة لأنها لا تستطيع التعرض لمزيد من الألم.

ما إن أنهت توضيب حقيبتين حتى أخذت حقيبة زينتها الصغيرة وحملتها إلى الحمام وهناك تابعت مهمة توضيب أغراضها الخاصة.

أصبح كيڤن خلفها وكان صامتاً مكفهر الوجه يراقبها وكأنه رجل مصمم على أن يشهد استنزاف حبهما حتى النقطة الأخيرة.

www.elromancia.com

لم تنظر إليه ولو لمرة، وما إن انتهت حتى حملت الحقيبة إلى غرفة النوم متجنبة أي احتكاك به. . كانت أعصابها ترتجف بشكل خطير لأنها تعرف أن أي احتكاك جسدي به قد يطلق خيوط السيطرة التي تتمسك بها.

أغلقت الحقائب بقوة أجفلتهما معاً. . ولكن كيڤن تماسك ودنا منها يريد أن يحمل الحقيبتين الثقيلتين عن السرير. . ولكنه ارتدَّ محبطاً أبيض الوجه عندما ارتدت إليه أماندا وكأنها قطة شرسة.

قالت من بين أسنانها:

ـ لا تلمسها! لا تلمس أبداً ما يخصني! لقد نجحت في تلويث كل شيء. . كل شيء! فابتعد عني! سأتصرف بنفسي. . كما فعلت دوماً.

ثم ارتدت عامدة متعمدة عن وجهه الشاحب وتقدمت إلى حيث تمثال كالوسوس واقفاً شامخاً. انتزعته من مكانه ونظرت إليه باشمئزاز.

ـ يا إلهي. . أماندا. .

لكن توسله لم يلق آذاناً صاغية، فقد ارتدت والتمثال في يدها. . أما هو فضاقت عيناه.

هل يظن أنني سأحطم رأسه به؟

رفعت التمثال عالياً ثم رمته من النافذة. . فتعالى صوت تناثر الزجاج. . ووقفت أماندا مسمرة هادئة تنتظر سماع الصاروخ الذي سيتحطم على أرض الشرفة الحجرية في الأسفل.

قالت بهدوء: «هذه مشكلة الآلهة المصطنعة، ليس لها روح. . تقف جامدة فيما هي من الداخل فارغة، جوفاء، تأخذ كل شيء بشراهة ولا تقدر على العطاء».

رفعت حقيبتيها ثم ألقت نظرة أخيرة مريرة على كيڤن الذي كان يتكىء على الجدار قرب الحمام ووجهه مستند إلى ذراعه وجسده يرتجف.

خرجت من الغرفة وهي تكافح للوصول إلى الأسفل بسبب هذه الحقائب. . لاحظت العمة روزي واقفة بباب شقتها قلقة، لكنها رفضت

الاعتراف بوجودها. . رمت الحقيبتين في صندوق السيارة ثم عادت إلى المنزل وجلبت ما تبقى من متاعها.

وجدته في الغرفة يقف قرب النافذة المحطمة، ويداه مشدودتان إلى جنبيه يحدق إلى التمثال الملقى على الأرض في الأسفل، مقطوع الرأس.

جمعت بقية أغراضها ثم خرجت مرة أخرى بدون أن تقول كلمة. . وعندما كانت تسير في الرواق سمعت صوت عظام تضرب الخشب، ثم تحطم زجاج. . عرفت أن كيڤن يحطم ما تبقى من النافذة بيده.

كانت العمة روزي قد تحركت إلى أسفل درجها ونظرت إلى أماندا شاحبة قلقاً.

ـ ماذا حدث أماندا؟

وضعت أماندا أغراضها أرضاً وابتسمت لها، فاغرورقت عينا العجوز بمزيد من الدموع. ابتلعت أماندا غصة بؤس كانت تحاول جاهدة استيعابه، وحضنت جسد العمة الصغيرة بقوة.

ـ لا تتكدري حبيبتي. . هذا ما يريده كيڤن. وهذا هو المهم في النهاية.

في لهجتها مرارة كبيرة. . ولكنها لم تكن قادرة على التصرف بطريقة أخرى.

حاولت الابتعاد لكن المرأة العجوز تعلقت بها.

ـ ماذا حدث؟ لماذا ترحلين؟ لا أظن كيڤن يسمح برحيلك. .

قاطعتها: «لا تضيفي شيئاً آخر. . ».

وضعت شفتين باردتين على خد العمة روزي. . ثم همست:

ـ فليسامحه الله عمتي روزي. . أما أنا فلن أسامحه أبداً.

ثم التقطت بقية أغراضها متجاهلة بكاء العمة روزي وصوت التنفس العميق الأجش، الذي أعلمها بأن كيڤن الواقف فوق أمام النافذة قد سمع ما قالته.

تركت أماندا المنزل بدون أن تلقي نظرة إلى الخلف. ولكنها أخذت شيئاً واحداً أرضاها وهو توسل كيڤن الحزين الذي أطلقه قبل مغادرتها غرفة النوم. لقد قال: لا تذهبي أماندا.. أرجوك لا تذهبي.

وصلت إلى شقتها فوجدت كايس هناك يستند إلى الجدار قرب بابها.. استقام حين شاهدها.

قالت: «كيف..؟»

ـ اتصلت بي العمة روزي.

آلمها ألا يكون كيڤن من اتصل به.

ـ ادخلي.. سأجلب الحقائب من السيارة.

أعطته مفاتيح السيارة ثم فتحت باب شقتها بأطراف خدرة، ودخلت. ارتجفت أماندا وعقدت ذراعيها حول صدرها وراحت تتنقل من غرفة إلى الأخرى وهي تشعر بالبرد والجفاف من الداخل.

ـ وضعت أغراضك في غرفة نومك.

جاء صوت كايس المتأني الحذر من خلفها.. فارتدت إليه مبتسمة ابتسامة حزينة.

ـ فكرت في فنجان شاي.. نعم هذا ما تحتاج إليه.. فنجان ساخن لذيذ من..

ـ أماني..

شدت عينيها وأغمضتهما بقوة:

ـ أماني.. أماني.. أماني! يا إلهي أكاد أصاب بالغثيان من سماع هذا الاسم.

انتفض جسمها كله ثم أجهشت بالبكاء.. فتقدم كايس بقلق نحوها. مدت يديها توقفه وقالت بضعف:

ـ أرجوك كايس.. أشكرك على مجيئك كما أشكرك على اهتمامك.. ولكن هلا ذهبت الآن؟ فأنا بحاجة للانفراد بنفسي.

www.elromancia.com

ران صمت قصير، ثم صدم صوته طبلتي أذنيها فقد عاد مرحه المتأصل إليه.

ـ طبعاً حبيبتي.. لا مشكلة.. لا مشكلة.. إنسي أن كايس العجوز قد أظهر وجهه أبداً!

لقد جرحته وهذا ما آلمها، أضاف:

ـ سأذهب.. ولكنني راجع في وقت لاحق.. لا يمكن أن أزعج السيدة.. فالليلة الكبيرة قريبة، وهي بحاجة إلى الراحة.

ـ كايس!

ـ حسناً.. حسناً.. أنا آسف! انظري.. انظري.. أنا ذاهب.. لقد ذهبت!

وخرج تاركاً وراءه صمتاً بارداً، أما أماندا فارتمت فوق كرسي ودفنت رأسها بين ذراعيها على مائدة المطبخ.

لاقت المسرحية نجاحاً باهراً اهتاج له النقاد، وأحبها المشاهدون.. والأهم أن أماندا وجدت أنها قادرة على دفن حزنها في الشخصية التي تلعبها.

كانت تمثل في الأمسيات وتعود إلى المنزل لتناول عشاء خفيف.. ثم تمضي نصف الليل وهي تتقلب وتتلوى لتبعد عنها الألم الذي تشعر به.. وكانت تتوقع في كل يوم وصول الأوراق لتوقعها.. أوراق الطلاق، ولكن ذلك لم يحدث حتى الآن.

ثم رأته في الأسبوع الثاني على العرض جالساً في مقدمة المسرح في المقعد الأول من الصف الثالث.

لم تستطع أماندا معرفة ما الذي لفت نظرها إليه بالضبط.. ربما هي مشاعرها المجروحة أو سوء حظها القديم الذي أجبرها على النظر إلى الصالة من موقعها على المسرح حيث يمكن لها أن ترى الصفوف الأولى التي تضيئها أنوار المسرح الأمامية.. ولكنها رأته فتلعثمت بالكلمات التي

كان عليها قولها وهي تمثل.

في الليلة التالية كان هناك أيضاً وفي التي تلتها ثم التي بعدها في المقعد ذاته والمكان ذاته.. وكان حجم جسمه يبرز كثيراً بحيث تعجز عن تجاهل وجهه الذهبي المشرق الذي تخفيه ظلال الأنوار الخافتة.

مضى أسبوع على هذا العذاب الغريب ثم قررت أخيراً أنها لن تستطيع الاحتمال أكثر.. وظهر مرة أخرى تلك الليلة التي كان أداؤها فيها ضعيفاً جعل أفراد الفرقة يتأففون. في اليوم التالي أرسلت له مذكرة وصلت إليه في مشغله تطلب فيها الامتناع عن الحضور إلى المسرح لأن وجوده يفسد أداءها.

ومن تلك الليلة انقطع عن المجيء ولكن مقعده ظل فارغاً.. وكأنه شاهد ضريح حبهما الميت.

لم تعرف لماذا جاء.. ولكنها رفضت التفكير في دوافعه، وقد سبق أن أرسل لها ليلة الافتتاحية بطاقة يقول فيها: «حظاً سعيداً.. كيڤن»، مع باقة جميلة موضوعة في آنية خزفية عرفت أنه من رتبها.. لكن عدا هذا، لم يكن هناك اتصال بينهما، ولم يحدثها كايس عنه قطّ مع أنه يزور العمة روزي دائماً.

في الأسبوع السابع على عرض المسرحية وبالتحديد بعد ظهر الأربعاء سمعت رنين جرس باب شقتها.

فتحت الباب ثم وقفت تنظر فاغرة فاها إلى الزائر.

سألها صوت ساخر:

ـ هل لدى السيدة اللطيفة شراب لمسافر متعب؟

صاحت: بيدروس!

وارتمت بين أحضانه.. تحتضنه وكأن الحياة رُدّت إليها.. راحت تضحك، وتكاد تبكي، وتصيح:

ـ من أين أتيت؟ أين آيرين؟ ماذا فعلتما بيبير؟ أوه.. ما أروع أن أراك!

قال متذمراً بلطف:

ـ مهلك، مهلك حبيبتي! كوني لطيفة وتوقفي عن شد ثيابي هكذا.. البذلات الإيطالية غالية الثمن هذه الأيام.

كان بيدروس فيرغوس رجلاً يضع السلطة والثراء حول كتفيه كالعباءة.. جسده الطويل مخلوق لارتداء الثياب المتقنة الفاخرة.. مع ذلك فهو يبدو خطيراً حتى وهو يرتدي جينزاً عتيقاً وتيشيرت.. شعره قوي سميك أسود ولكن مع نودين فضيين أما عيناه فأشبه بالمخمل البني.

دخلا إلى شقتها والبسمة تعمّ وجهها: قهوة؟

ـ يونانية؟

ـ طبعاً.

ـ إذن.. أجل، أرجوك. فأنا بحاجة إليها بعد هذا السفر الطويل.

جلس بيدروس وكأنه في بيته، أما أماندا فراحت تحضر القهوة ثم جلست إلى جانبه.

قال: أنا هنا في لندن في زيارة سريعة، ولكن آيرين لم تأت معي بسبب..

أجفلها صمته فرفعت عينيها.. ولكنه ابتسم يطمأنها:

ـ لا.. لا.. إنها ليست مريضة.. كيف يقول الرجل هذا بدون الابتسام كالأبله؟ إنها تتوقع طفلنا الثاني.

صاحت أماندا: «طفل؟»

وحضنته مجدداً، ولكنها توقفت في الوقت المناسب قبل أن تفسد بذلته بالقهوة..

ـ أوه بيدروس.. هذا رائع! فتاة.. أصر على أن تكون ابنة أخت ذهبية الشعر زرقاء العينين لتدير رجال عائلة فيرغوس حول اصبعها.

ضحك بيدروس:

ـ إنه مطلبي أيضاً.. لكنها، وهي العملية دائماً، تقول إن هذا بيد الله

ويجب أن أرضى بما يريد.

لكن المرح فارقه بعد قليل وبدا متجهماً:

ـ آيرين قلقة عليك عزيزتي.. عندما أخبرتها بما حدث معك ارتاعت وخافت عليك وأرادت المجيء لمواساتك ولكن وضعها منعها.. وها أنا أرى أنها على حق في قلقها فقد فقدت بضعة كيلوات وأرى الدوائر السوداء كما أرى أن الابتسامة التي ترسمينها على وجهك ابتسامة تعب.. لذا أخبريني كيف حدث كل هذا.. زواج خاطف ثم انفصال غريب.

ليس هناك علاج للقلب المكسور...

ـ أنا بخير حقاً بيدروس.. قل لآيرين أن لا داعي للقلق.. فما أكثر ما تفشل الزيجات.

ـ نعم كثيراً ما يحدث ذلك.

ـ يجب أن تقول لها إنني على ما يرام..

انقطعت لبرهة عن الكلام ثم أضافت:

ـ تبين لي ولكيڤن أننا ارتكبنا غلطة.. واكتشفنا أننا نرغب في أشياء مختلفة.

سأل بيدروس بلطف: «مثل ماذا؟»

تنهدت: «الحب».

ـ الحب؟!

كان صهرها يخوض الموضوع بحذر شديد، فهو يعرف قوة كبرياء عائلة هاموند.. وأماندا كآيرين، تستطيع بسهولة أن تقلب حباً قوياً إلى كراهية شرسة لا تلين، ولديه خبرة في هذا التحول السريع ويعرف كذلك طباع العائلة التي نادراً ما تظهر، لكن حين تظهر يصبح بإمكان صاحبة هذا الطبع صعق أي رجل حيث يقف. ولهذا يخوض الموضوع بحذر.

ـ خلته يحبني مع أنه لم يستخدم تلك الكلمة يوماً.

قال بيدروس ساخراً: بكل تأكيد عزيزتي.. فلننصف كيڤن، لأنني

واثق أنني تلقيت انطباعاً بأن الحب يشرق كالشمس عليكما معاً؟

ـ لا تكن غامضاً في كلامك معي بيدروس، أنا وأنت نعرف تمام المعرفة ما ميزة كلمة الشمس.

ـ أجل، إنه تمثال خاص برونزي مغطى بالذهب الخالص وهو كما يقول الإنكليز يكلف «ثروة»، وقد طلب سراً من أفضل نحاتي رودس.

ردت متجهمة:

ـ كانت إشارة لا جدوى منها..

ـ إعلان الحب أماندا.. إن لم يرد كيڤن على الحب بلطف فهذا لا يعني إلغاء الرسالة.

ـ لقد طردني.

انتفض بيدروس..

أضافت: من غير سابق إنذار. في يوم كان كل شيء رائعاً كاملاً.. وفي اليوم التالي ذهب كل شيء وما زلت غير قادرة على تصديق ما جرى.

سألها بحدة: «وهل ارتكبت خطيئة ما؟ أم جرحته وأغضبته ليعاملك بمثل هذه القسوة؟»

تخلص من فنجان قهوته وارتدّ بحدة يواجهها ويقول بلهجة آمرة:

ـ أجيبيني أماندا! ماذا فعلت لتستحقي مثل هذه المعاملة؟

أحست أماندا أن سيطرتها التي تفرضها على مشاعرها انهارت فجأة.. والدموع التي طال احتباسها انطلقت.

قالت بمرارة: «أنا التي أحببته.. هذا كل شيء.. تمثالي الذهبي الكبير «كولوسوس»! لقد تجرأت على الوقوع في حب إله الشمس الإغريقي، بيدروس. ولقد أوضح وضوح الشمس رأيه بي!

تمتم بيدروس بصوت أجش: «أماندا.. لا تظلمي نفسك هكذا».

أردفت بصوت كسير:

ـ حظك تعس أماني.. عشت معك فترة ممتعة ولكن هذا لن يحدث

بعد الآن . . أطلب منك الطلاق لأتزوج سواك .

أغرقت في البكاء أما بيدروس فضمها بين ذراعيه بحنان . . انفتحت أبواب السد وراحت تسرد عليه كل القصة المؤسفة ودموعها على وجنتيها .

أصغى بيدروس الذي بان عليه الغضب . . فذلك الولاء اليوناني الأزلي للعائلة يضج في رأسه ويجعله راغباً في الانتقام .

ثم قال بحدة : «سأقتله !»

عرفت أنه قادر على هذا ، فصاحت مجفلة :

ـ لن تقدم على شيء كهذا .

ـ لن أقتله بيدي ، فعلى رجل في مثل مركزي أن يكون كتوماً في مثل هذه الأمور .

ـ بيدروس . .

ـ سأجعله يتألم قليلاً . . إذن .

ـ إنه رجل بعيد النظر يرى ما لا يراه الآخرون إلا في ما خصّ زوجته السابقة . . فمعها لا يستطيع رؤية كذبها القديم !

ـ قد يصبح ضمير الرجل عبئاً لا يحتمل عزيزتي . . خاصة حين يريد قلبه إبعاده في اتجاه مضاد .

ـ وهذا الضمير هو الذي يكسب دوماً . . أهذا قصدك ؟

ـ لا . . ليس هذا قصدي . ربما يقاوم كيڤن بشراسة رغبات قلبه . . وجرحك عميقاً في سياق هذا أماندا . . لكن هذا لا يعني أن الضمير هو الذي يربح دائماً .

تذكرت صدى توسله المشبع بالألم عندما كانت راحلة فاعترفت بأن بيدروس على حق فيما قاله .

أضاف : «هل أرسل إليك أوراق الطلاق لتوقعيها ؟»

ـ حتى الآن لم يرسلها وأنا أستغرب ذلك .

ـ وهو إلى الآن لا يقضي أوقاته مع زوجته السابقة .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لأنني يا عزيزتي جعلته شغلي الشاغل .

ـ يا لتصرفك المثالي ! ومن أعطاك الحق في التدخل بشؤوني ؟

ـ حقوقي واضحة . . أنا قريبك الذكر الوحيد .

انتفخ كبرياء :

ـ آيرين قلقة عليك ! وصديقك العزيز كاسدي قلق عليك . . وأنا قلق عليك ! فحالتك المثيرة للشفقة تثبت أن لقلقنا ما يبرره !

راحت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً : «سأعيش» .

ـ أجل . . ستعيشين . . أسلافك المتكبرين يطالبونك بهذا . . ولكنهم لا يطالبونك بدفن نفسك في عملك وتجاهل فرصة البدء بحياة جديدة وعلاقة جديدة !

كيف تفكر في رجل آخر وكيڤن لا يفارق تفكيرها لحظة ؟ احتضنت نفسها بشدة متمنية لو أن بيدروس موجود الآن في جزيرته رودس المحبوبة .

هز كتفيه :

ـ ما زال كيڤن بمفرده مع سيدة عجوز طيبة وكلب مخيف المظهر .

ـ وماذا يعني هذا . . بالضبط ؟

ـ هذا ما يدل أنه رغم عذاب الضمير الذي يشعر به غير قادر على المضي في هذا . .

ـ ربما رفضته ! الضعفاء ، الخنوعون ، المطيعون الذي يضحون بأنفسهم لا يروقون كثيراً للنساء . . وأنت تعرف هذا !

ـ حقاً ؟

ردت : «أجل . . حقاً !»

في هذه المرة لم يتمالك نفسه إذ اندفع يقهقه بصوت عال حتى شعرت أماندا بالإهانة ، ثم علق :

ـ هذه هي فتاتي التي أعرفها! عرفت الآن أن روحك القتالية لم تتخل عنك حتى الآن.. سأكون مستريحاً الليلة بصحبتك على العشاء!

وقف.. هو ليس أقصر من كيڤن بكثير.. أضاف بصوت كسول:

ـ لا أطيق تناول العشاء مع الجثث أماندا، إنها تضجر.

قالت تؤنبه:

ـ أيها المتعجرف..

جعلها تبتسم في الوقت الذي كانت فيه على استعداد لضربه.. قال موافقاً بعدم اكتراث:

ـ أعرف.

ورمى ذراعه حول كتفيها واتجه معها إلى الباب:

ـ وماذا يمكن أن أكون وأجمل امرأة في العالم تحبني؟

ـ تحايلك عليّ عن طريق أختي لن ينفعك.

عانقته بحب وحرارة ثم ارتدت عابسة في وجهه:

ـ أتساءل عما إذا كانت آيرين على معرفة بضعفك نحو الممثلات فأنا شخصياً أجد الأمر وقاحة!

* * *

١٠ ـ يركع عند قدميها

اتصل كايس بها قبل أن تغادر المسرح.. ودعاها بدون مقدمات:

ـ ما رأيك بتناول العشاء في المطعم المجاور للمسرح.

أجابت مازحة: «ليست فكرة صائبة لأنني أفضل عليها دعوة إلى العشاء في مطعم فخم مع رجل جذاب لا يفوق فتنته سوى جاذبيته السمراء».

بعد صمت قصير انطلق يسأل بسرعة:

ـ من وأين وكيف؟

ـ من؟ هو غريب أسمر طويل.. أين؟ في أحد المطاعم الفخمة. أما كيف.. تمّ الموعد عبر الهاتف.

شعرت بخفة قلب لأول مرة منذ أسابيع، فتذمر كايس:

ـ أي نوع من الأجوبة هذا؟

ـ إنه الجواب الوحيد الذي ستتلقاه مني. والآن يجب أن أذهب لئلا أتأخر..

قال كايس بإصرار: «والعشاء؟»

وكأنه يقول إنه لم يصدقها، فهو يعرف أنها لم تذهب إلى أي مكان برفقة أي شخص له المواصفات التي سردتها.

رفضت: آسفة.. لأنني الليلة يا صديقي الوسيم محجوزة.

بهذا الرد أقفلت الخط، أخيراً عادت إليها ابتسامتها الماكرة.

جاء بيدروس إلى غرفة ملابسها بعد بعدما شاهد المسرحية وكان التأثر بادياً على وجهه.

- أرى أنك تعلمت قيمة الكلام الذي يحرك العواطف يا عزيزتي أماندا.

جلس على كرسي ينوي ألا يفقد صبره بانتظارها.

نظرت إليه عبر المرآة:

- تشير إلى أن أدائي السابق كان يفتقر إلى عناصر محددة من قبل؟

- لا.. بل أظنك اكتسبت خبرة كاملة مما سبق، ومن عناصر جديدة.

فهمته:

- آه.. نحن المسرحيون كالاسفنجة التي تعيش على سواحلكم بيدروس. لدينا قدرة على استيعاب كافة الخبرات التي تحب الحياة أن ترميها علينا.

عادت تنظف وجهها من المساحيق المسرحية. أما بيدروس فأخذ يراقبها بتكاسل وهو متمدد على الكرسي، وكأنه في منزله.

سرّحت شعرها بحيوية ونشاط، ثم عقصته على قمة رأسها بأصابع لا تتردد.

قال بيدروس بهدوء:

- المؤلف رجل ذكي.. التقط بشكل صحيح عدم صلاحية الزواج المدبر هذه الأيام.

شعرت بالتوتر لأنها لم تفكر في هذه العقدة من قبل:

- طبعاً! لكن شعبكم ما زال يمارس هذا التقليد البدائي.

ونهضت عن طاولة الزينة مبتسمة وأضافت:

- مع ذلك، لم تسمح لهم بمعاملتك بمثل هذه الطريقة. أذكر أن عائلتك اغتاظت كثيراً عند ظهور آيرين في حياتك!

- آه.. لكن كما تشير رواية المسرحية لا يمكن لأحد أن يربي أولاده

بحسب الثقافة العصرية والمفاهيم الاجتماعية الحالية ثم يتوقع منهم الخنوع إلى تقاليد الأسلاف.

- اختار لك والداك فتاة يونانية ثرية وجميلة.. أليس كذلك؟

تناهت إلى مسمعيها ضحكته، وهي خلف الستارة تغير ثيابها:

- إنها ابنة أشرس منافس لأبي.. سوداء الشعر والعينين.. والقلب أيضاً! مدللة أنانية، وكانت شرسة في الحصول عليّ لسجني في شبكتها المسمومة.. وقد لزمني وقت طويل ودروس قاسية لأقنعها وأقنع عائلتينا أنني لن أقع ضحية خططهم الغبية.

- وهل جرحوا آيرين؟

- لقد حاولوا.

جعلتها لهجته ترتجف، وأردف:

- لكنهم لم يتجرؤوا على هذا مرة أخرى.

أجل فلا شك أنه لقّنهم دروساً لم ينسوه. عندما خرجت من وراء الستارة التي ارتدت وراءها ملابسها نظر إليها صهرها بإعجاب، ووقف بهدوء وقال لها مادحاً:

- أنا محظوظ حقاً بشقيقة زوجة مثلك.

انحنت له تلقي عليه تحية مسرحية:

- شكراً لك.. سيدي الكريم!

قال متنهداً تنهيدة تراجيدية:

- أرى أنني مضطر إلى حمايتك الليلة!

كان المطعم مكتظاً في مثل هذا الوقت من الليل.. لكن الذوق السليم والتخطيط الذكي تمكنا من وضع مسافة بين الطاولات.. أجلسها بيدروس مبتسماً ابتسامة قلق بسبب نظرات الاهتمام التي تتلقاها أماندا.. ثم همس في أذنها وهو يقف خلفها:

- هذا هو ثمن الشهرة.

ردت: أنا لا أحسد على هذا.. فجزء من نجاح الممثل هو أن يكون معروفاً.. ولكنني لست معروفة جداً بحيث يحتشد الناس من حولي أينما ظهرت علناً.

نظر بيدروس حوله وهو يجلس، وقال:

- إن ذلك لأمر مثير للغضب.

عندما كانا يتحدثان عن موضوعهما المفضل آيرين وبيير، اتسعت عينا أماندا فجأة لأنها رأت بيدروس ينظر بذهول وبصمت. ضاقت عيناه قليلاً وهما تلاحقان شخصاً ما لم يكن ظاهراً لها من موقعها. ثم ارتسم تعبير غريب على وجهه الأسمر قبل أن يميل إلى الأمام ويرفع يدها عن الطاولة بينهما.

- أماندا.. أعتقد إن لم أكن مخطئاً أن رجلاً معيناً ضخم الجثة له قسمات وجه إله الشمس دخل المطعم للتو وهو يبحث عن شخص محدد.

ابتلعت ريقها وهمست: كيڤن؟

هز بيدروس رأسه بوقار.. أما أماندا فاقشعرّ بدنها بسبب إحساسها بنظرات كيڤن تنصب عليها.

هون بيدروس عليها:

- هدئي روعك أماندا.. يرتدي هيليوس درعه الذهبي للدفاع عن نفسه.. لذلك، يتوجب عليك أن تحذي حذوه.

غضت طرفها وحاولت السيطرة على اهتياجها.. وتمتمت:

- لن يأتي إلى هنا.. بالتأكيد؟

- يؤسفني أن أقول إنك مخطئة عزيزتي لأنه سيصل ليفرض نفس على خلوتنا.

- اللعنة!

نظر إليها بيدروس متعجباً:

- أستغرب قدومه إلى هذا المطعم الذي قصدناه الليلة.. إلا..

بالطبع إذا كنت تتناولين الطعام في هذا المطعم دائماً.

- لا تمزح بيدروس.. تعرف أنني نادراً ما أتناول الطعام في أماكن كهذا.

قال بيدروس بصوت راضٍ:

- إذن.. هيليوس موجود هنا عمداً. للكولوسوس جواسيس في مخيمك يمررون له معلومات عن تحركاتك؟ هل أخبره أحد أن غريباً جذاباً دعاك إلى هنا فأجبره بهذا الخبر على الخروج من مخبئه ليلقي نظرة على منافسه؟

ردت أماندا هامسة:

- يا لخيالك الخصب بيدروس! لك حقاً أكثر..

قاطعها بهدوء: فكري ملياً في الأمر عزيزتي.. فلا أظنه جاء إلى هنا ليستمتع بعشاء في وقت متأخر.

سحبت نفساً مرتجفاً وتمتمت: «كايس!»

كادت تصب بحراً من الكلمات والشتائم على كايس ولكن الظل الذي وقع على طاولتهما جعلها تمتنع عن ذلك ثم توترت أحاسيسها ما إن عرفت أنه كيڤن.

قال بصوت فظ: «مرحباً أماندا».

ارتجفت يدها في يد صهرها الدافئة الآمنة.. وشعرت بتورد غادر يسري في بشرتها.. ولكنها ردت بصوت فظ: «كيڤن!»

لم تستطع إجبار نفسها على النظر إليه ولو كلفها هذا حياتها.. عمَّ التوتر الصمت المطبق ولكنها ظلت تنظر إلى الطاولة، وكيڤن واقف مسمر إلى جانب كرسيها، وبيدروس غير متأثر كعادته يراقب بعينيه الماكرتين هذين الوجهين المتوترين.

كسر كيڤن الصمت، فأجفلها:

- كيف.. كيف حالك؟

رسمي جداً.. متمدن! رفع التوتر ذقنها إلى الأعلى بكبرياء، فردت ببرود:

- بخير.

لكنها أفسدت برودها عندما نظرت إليه بشوق، ولعل أكثر ما صدمها التغييرات البائنة على وجهه وهي دلائل تشير إلى أنه رجل يحرق شموعه في إرهاق نفسه. بدت عيناه أكثر اسوداداً مما تذكر وهما تفتقران إلى ما كان فيهما من بريق، أما خداه فمجوفان بطريقة جعلت بنية عظام وجهه الجميلة تبدو بارزة بدل أن تكون منمقة بعناية.

قال بصوت جاف: «أحتاج إلى مكالمتك على حدى».

طافت عيناه في الغرفة فإذا أكثر من نصف الحاضرين ينظرون إليهما.. فكل من يقرأ مقالات الإشاعات في الصحف سمع بأمر طلاقهما الوشيك.

أضاف حين لم ترد:

- بضع دقائق فقط، أماني.. لا أطلب منك إلا بضع دقائق على انفراد.

- لا..

رفضت بطريقة لا تلين وقالت:

- ليس بيننا ما يقال.

تمتم بصوت فظ:

- خمس دقائق فقط.. أعطيني خمس دقائق من وقتك فقط.

قال صوت يبدو عليه الخجل الزائد عن حده:

- أعتقد أن السيدة قالت «لا».

التفت كيڤن إلى بيدروس فاشتعلت عيناه بنار الغضب.

همهم كيڤن بكلام غير مفهوم ثم ما لبث أن تصرف تصرفاً غريباً أذهلها فقد جثا على ركبتيه إلى جانبها غير عابىء بالمتفرجين الفضوليين.. أو

بأي شيء آخر وهو يقرب وجهه من وجهها:

- حباً بالله أماندا.. اسمحي لي بأن أشرح لك.

نصحته ببرود:

- أرسل إليّ رسالة.. فقد سبق أن اختبرت شرحك.. ولن أوقع نفسي بالشرك مرة أخرى.

- أريد إخبارك بأمر سوان.. أنا..

قاطعه بيدروس: «ومن هي سوان؟»

قالت أماندا لصهرها بصوت حاد:

- إنها زوجته.

قال كيڤن بنفاد صبر: «زوجتي السابقة.. أماني..».

قال بيدروس بلهجة من راعه الخبر:

- عزيزتي..! هذا كثير..!

نظر كيڤن إلى بيدروس بحدة قاتلة وقال عابساً:

- من هذا الأخرق؟ أحد حراس كايس؟ إنه يبدو كالحارس.

أخرق! نظرت أماندا بقلق إلى بيدروس لترى كيف تلقى الإهانة.. ولكنه بدا ويا للذهول متسلياً بما يرى.

وضع كيڤن يده على ذراعها، وقال بإلحاح:

- أتركيه أماندا.. وتعالي معي لنستطيع..

صاحت غاضبة: «ارفع يدك عني.. ألم تتعلم شيئاً من الأدب الاجتماعي؟»

أنزل يده عنها ولكنه ظل ينظر إليها بأسر نظرها:

- تخلصي من هذا الرجل الضخم لنتحدث..

كادت تستسلم.. كادت تضعف أمام توسلاته وألمه الأسود.. لكن بيدروس تدخل مهدداً كيڤن وهذا ما جعلها تمد يدها لمنعه، فأذعن وأمسك يدها الممدودة ورفعها إلى شفتيه.. التفت كيڤن بسرعة ونظر إليه

www.elromancia.com

نظرة متوحشة جعلت أماندا تقفز خوفاً. حدث كل شيء بسرعة في ثوان قصيرة، لذا لم تفهم ما يحدث حتى رأت وميض المكر في عيني بيدروس الذي تعمّد إثارة كيڤن.

قال كيڤن بخشونة: «تخلصي منه أماندا!»

وزاد العنف حولهم بشراسة حتى أحست أن نبض قلبها يزداد عنفاً.

صاحت وهي تنظر إلى ما حولها باضطراب:

ـ لا.. اذهب من هنا! أنت تحرجني!

صاح كيڤن بغضب: «هو الذي يسبب الحرج! من أين التقطته؟ إن كنت تبحثين عن بديل لي أماني، فحباً بالله جدي شخصاً أكثر...».

قاطعه بيدروس بصوت جاد لا يشوبه المزاح:

ـ لو كنت مكانك سيد لوكهارت لأخذت حذري وأنا أذكر رأيي فيك.. فلست رجلاً يقبل.. الانتقاد.. بهدوء.

لسعه صوته الهادر كالسوط.. مع أنه بدا غير متأثر بالعداء البادي على الرجل الآخر.. أضاف برقة خطيرة..

ـ دعني أوضح لك نقطة صغيرة.. حجمك الضخم لا يرهبني.. وسأكون مسروراً بوضع بضعة شقوق في هذا الوجه الرقيق.

ران صمت قصير ولكنه كان أشبه بالصراخ، عندئذ أدرك كيڤن هوية الشخص الذي يهينه فهز رأسه بقوة متمتماً:

ـ بيدروس فيرغوس.. أنت فيرغوس العظيم بشحمه ولحمه.

ـ وأنا لا أرحب بك على طاولتي.. أرجوك.. ابتعد سيد لوكهارت قبل أن أطلب منهم رميك خارجاً.

توسلت أماندا بصوت مرتعش: «بيدروس..».

من الغريب أن قساوتها مع كيڤن شيء، والجلوس بلا حراك تاركة بيدروس ينفذ تهديده شيء آخر.

ـ أرجوك.. دعني..

ارتفع حاجباه الأسودان بسخرية باردة:

ـ أهذا زوجك المصون الذي طردك من حياته وكأنك امرأة فاجرة؟

انتفضت أماندا بألم.. فتمتم كيڤن لاعناً من بين أسنانه المشدودة:

ـ لا تنعتها بالفجور..

ـ أعرف ذلك.. ولكنك أنت من عاملها بهذه الطريقة مع أنها زوجتك.. ولكن إن لم تفهم معنى قولي لأماندا، فسأشرح لك بالضبط قصدي قبل أن تخرج من هنا.

مال الأسمر بقسوة، فشعرت أماندا بالغرفة تميد بها.

ـ لم أقل أن شقيقة زوجتي امرأة فاجرة بل ذكرتها ببساطة أنك عاملتها وكأنها امرأة فاجرة.. لقد أذللتها بما فيه الكفاية.. سيد لوكهارت.. لذا لم تعد بحاجة إليها.. أسرع بمعاملات الطلاق لتتحرر منك أما الآن فاخرج من هنا!

تلقى كيڤن كل هذا بدون أن يتحرك، ثم ارتدّ ببطء لينظر إلى أماندا التي كانت تحني رأسها الفضي وقال بهدوء:

ـ تعرفين أنني قادر على قتله أماندا.. تعرفين أنني قادر على صرعه لو أردت.. لن أرحل من هنا قبل أن تطلبي مني أنت أن أرحل.. أرجوك أن تصغي إلي!

قالت بحدة: ارحل من هنا كيڤن.. بيدروس مصيب. لم أعد أريدك.. دعنا ننفصل إلى الأبد.

ـ أحبك.

نظرت إليه بعينين ملؤهما الكره:

ـ تأخرت كثيراً باعترافك.. عد إلى ضميرك المقدس اللعين، كيڤن.. فأنا لم أعد أريدك أو أريد ضميرك!

شحب وجهه وراح يتفرس بوجهها الجميل بتجهم فعلمت أنها أصابت منه مقتلاً أخيراً.. استجمع شتات نفسه ثم وقف ببطء، فأشاحت

أماندا وجهها عنه وشعرت بألم يعادل الألم الذي يشوبه.

أجفلتها يده التي وضعها على كتفها وتشنج جسمها دفاعاً ولكن لم يكن هناك أي دليل على العداء بل مجرد لمسة حنان مؤلمة في لطفها..

قال بهدوء:

- حسناً أماندا.. أتمنى لك السعادة حبيبتي.

تمتم بيدروس فقطع الصمت الثقيل الذي حل بعد ذهاب كيڤن:

- لم أفكر قط أنك قادرة على أن تكوني ظالمة في قسوتك ولم أحسبك ممن يتعطش للانتقام.. لم تتركي له شيئاً.. أتدركين هذا؟ لا شيء..

لا شيء.. نقطة بيضاء.. هذا ما تركه لها.. وقد احتاجت إلى شهرين من المرارة لتفهم ماذا تعني كلمة «لا شيء».. إنها تعني صفحة بيضاء من الحياة يجب أن تبدأ في كتابتها مجدداً.. فإن ندم الآن على أفعاله، فهذه مشكلته..

قبلت موعداً مع ماتيوس آشلي.. وبهذا اكتشفت أن صورة «معبود النساء» تخبىء وراءها رجلاً خجولاً رقيقاً لطيفاً..

قال لها:

- لعبت دور بطل شرطة في مسلسل تلفزيوني، لقد أمضيت سنتين كاملتين لأقنع الناس بتقبلي ممثلاً جاداً بعد أدواري التلفزيونية.. في تلك الفترة نادراً ما عملت لذا ذعر وكيل أعمالي وخشي أن ينسى الناس وجهي لهذا جعلني أظهر في المدينة مع كل ممثلة مرغوبة ناضجة، ومن هنا اكتسبت سمعتي الشائنة.

- وثبت لك أن هذا أصعب احتمالاً من الصورة التلفزيونية.

- أستطيع العيش مع كل شيء شرط أن تسند الأدوار إلي.. كهذا الدور الذي ألعبه معك الآن.

تفرست أماندا بوجهه الجذاب ووجدت أنها تنظر إليه بمنظار جديد.. إنه رجل تربى كما يبدو تربية قاسية.. مع ذلك.. مع ذلك لاحظت

باحترام عميق أنه قادر على تحويل كل تلك القسوة إلى التكبر الذي يحتاج إليه في تمثيل الدور الذي يمثله حالياً.

أسرّت إليه بخجل:

- طلب مني التمثيل في مسلسل تلفزيوني في أمريكا السنة الماضية.. ولكنني رفضت التفكير في الأمر.. اكتفيت من الأفلام التي صورتها هنا.. ومن كل الوهج الزائف الذي يظهر معها.. المشهد يخسر شيئاً من معناه بطريقة ما حين تضطر إلى إعادته ست مرات.. ولا بد أن الشيء عينه ينطبق على التلفزيون.

- بل أسوأ من هذا.. على الأقل للفيلم الطويل بداية وعقدة ونهاية أما..

قاطعته أماندا:

- إنما ليس بالترتيب ذاته دائماً.

- هذا صحيح.. لكن المسلسلات التلفزيونية المنفصلة الأحداث تبدو وكأنها لا تنتهي.. لذا يكرهها المرء مع الأيام.. لكن المال والشهرة يخدران الأعصاب..

ضحك فبادلته أماندا ضحكته.

أصبحت صداقتهما متينة ولكن أماندا أوضحت له منذ البداية أنها لا تريد ما هو أكثر من صداقة معه فتقبل هذا وقال بصراحة:

- أعرف قصة انفصالك عن كيڤن لوكهارت، وأعرف ما هو الإحساس في استعادة العافية بعد زواج انتهى بكارثة.

ثم أخبرها باختصار عن تجربة فاشلة عانى منها:

- كانت أكبر مني سناً.. ولم تكن جميلة بشكل مميز، ولكنني وقعت في حبها وعاملتني كصبي مراهق.. حدث ذلك منذ سنوات وها أنا الآن سعيد لأنها ضحكت علي وأخرجتني من حياتها.. لكن في ذلك الوقت..

مد يده لها وقال بعفوية:

ـ إذن.. صديقان أماني، لا أكثر ولا أقل.

شعرت أماندا أخيراً أنها تتغلب على محنتها.. مع أنها بين الحين والآخر تضيع في موجة من الحزن والألم. وجدت أنها تفكر في المستقبل من جديد بوضوح أكثر وتناقش مع كايس في ما ستفعله بعد انتهاء المسرحية التي سيدوم عقدها سنة.. أما ذلك الرجل الذهبي الضخم فأخذ يأفل من عقلها.

ظلت المسرحية تستقطب الجمهور.. وكانت تشعر أنها باقية هكذا إلى أمد طويل.. لذا كان هناك فرصة كبيرة لتجديد عقدها، وإلا فلسوف تنتقل إلى رواية مختلفة أو عمل مختلف، كما تشاء.. إنها مرة أخرى حرة لتتخذ القرار دون تفكير بأحد.. وهذا ما جعلها تشعر بالراحة.

ثم حدث ما هو غير متوقع.. ورمى راحة بالها التي عملت جاهدة لأجلها إلى العذاب مجدداً.

***

١١ ـ رحلة العذاب

استيقظت أماندا صباح الأحد على رنين جرس الهاتف الذي لم ترحب به.

جرت نفسها من السرير جرّاً وخرجت مترنحة من غرفة نومها وتمتمت بتذمر، فيوم الأحد هو يوم عطلتها الوحيد من المسرح.. وكانت ليلة أمس قد بقيت حتى الثالثة صباحاً في ناد للرقص افتتح حديثاً برفقة ماتيوس وعدد من أفراد الفرقة.. لذا لم تكن في مزاج رائق وهي ترد على الهاتف.

كان الخط مشوشاً في أذنها فلم تسمع شيئاً في البدء ثم جاء صوت عميق أجش ثقيل اللكنة يسأل: «آنسة هاموند؟»

ـ أجل.. تتكلم.

ـ آه.. أماندا هذا أنا.. ستيفانوس فيرغوس.

إنه والد زوج آيرين.. جعلتها الدهشة تستقيم وتنتزع نفسها من النعاس.

ـ سأخبرك خبراً سيئاً عزيزتي، فشقيقتك وابني تعرضا لحادث سيارة.

أحست أماندا ببرود شديد وهمست:

ـ آيرين وبيدروس؟

لم تستوعب.. إنه الشعور بالبرد الذي يشعر به المرء حين يصاب بصدمة.

ـ هل أصيبا بأذى؟

www.elromancia.com

قال الصوت العميق بحزن:

ـ هذا ما أخشاه عزيزتي.. السيارة التي كانا فيها انحرفت عن الطريق عندما تجنب ابني صدم طفل.. بيدروس غائب عن الوعي ولم يستيقظ حتى الآن، ولكن إصابته غير خطرة على ما يبدو.. ولكن يؤسفني أن أخبرك أن إصابة آيرين أخطر.

جف اللون من وجه أماندا.. فمدت يدها الأخرى طلباً للدعم من جدار قريب.. آيرين مصابة! آيرين مصابة!

همست وهي غير قادرة على رفع صوتها أكثر:

ـ إلى أي مدى إصابتها خطرة؟

قال ستيفانوس فيرغوس بصوت أجش:

ـ نعتقد أنها ستفقد الطفل الذي تحمله.. ولديها بعض العظام المكسورة.. لكن مشكلة الإصابة الداخلية هي التي تزعج الأطباء.. يؤسفني يا عزيزتي أن أكون أنا من ينقل إليك الخبر.

أجبرت أماندا نفسها على التركيز.

ـ متى وقع ذلك؟

ـ وقعت الحادثة في الساعة التاسعة صباحاً.. أعتذر لأنني تأخرت بالاتصال بك أماندا.. ولكنني أردت التأكد من الوقائع قبل الاتصال.

فيما كانت هي نائمة بأمان في سريرها، كانت آيرين وزوجها في المستشفى!

ـ وهل وقعت الحادثة في أثينا؟

تنهد العجوز وكأنما يلوم نفسه:

ـ أبكيتك عزيزتي.. أعذري عجوزاً مشوش التفكير.. أكلمك من أثينا أما ابني وعائلته ففي رودس.. كان بيدروس وآيرين في طريقهما إلى الكنيسة هذا الصباح.. وأنت تعرفين كيف تكون الطريق إلى ليندوس غادرة بعد عاصفة صيفية عنيفة.. ركض طفل أمام السيارة فلمّا حاول

بيدروس مراوغته انحرفت السيارة عن طريقها وانقلبت وعلق بيدروس في داخلها ولكن آيرين للأسف سقطت منها إلى الخارج.. و..

لم يستطع أن يتم جملته وران صمت مؤلم رهيب.

سألت بخوف: «وماذا عن پيبرس؟»

ـ لم يكن معهما لحسن الحظ فقد بقي في الڤيلا مع مربيته.. ولكنه الآن مضطرب، وأنا وزوجتي على وشك السفر إلى رودس.. لا أعرف كيف أعبّر لك عن مدى أهمية قدومك في أسرع وقت ممكن.

همست: «آيرين».

ـ أجل.. هذا ما أخشاه.

أغمضت أماندا عينيها وراحت الجدران تهدد بالانقضاض عليها.

قالت بصوت أجش: «أنا قادمة في أسرع وقت ممكن..».

قاطعها العجوز اليوناني الذي بذل مجهوداً جباراً ليأتي صوته إيجابياً.

ـ قمت ببعض الترتيبات.. وضعت طائرة تحت تصرفك.

سمّى لها مطاراً خاصاً خارج لندن، فدونت أماندا الاسم والعنوان بيد مرتجفة. أضاف العجوز:

ـ ستكون الطائرة جاهزة للإقلاع في الساعة الثانية بتوقيتكم.. فإن لم تتمكني من الوصول إليها فاتصلي بالمطار ليستطيع الطيار تغيير موعد طيرانه.. هل فهمت هذا أماندا؟

ـ أجل.. أجل.

بذلت جهداً لتظهر بمظهر المرأة المسيطرة على صدمتها.

ـ جيد.. ستجدين سيارة بانتظارك في رودس ستقلك مباشرة إلى المستشفى.. وإن احتجت يا عزيزتي إلى أي شيء، أي شيء اتصلي بي..

أعطاها عدة أرقام هاتفية لتتصل به عليها، سجلتها أماندا بسرعة.. ثم تمتم بحزن:

ـ لشقيقتك منزلة خاصة في نفسي أماندا.. كان ابني محظوظاً حين

التقاها . . أنا . . نحن . . ندعو الله ليشفيها .

كلماته هذه إن دلّت فإنما تدل على مدى الخطر الذي هي فيه أختها .

خدّرتها الصدمة وجعلتها تتهاوى على الكرسي غير قادرة على الحراك ولكنها استطاعت التفكير في أمر . . . عليها أن تتصل بأحد قبل أن تحضر حقائبها . .

خطر كايس ببالها فهبت لتتصل به . . قال لها بصوت ملؤه السعادة :

ـ مرحباً حلوتي! إلى من أدين بهذا الشرف؟ فأنا أعرف أن فتاتي المفضلة تغرق بالنوم صبيحة الأحد .

قالت بهدوء : «تلقيت لتوي أخباراً سيئة» .

وأسرعت تذكر له بعض المعلومات .

ـ أنا بحاجة إلى إعلام المخرج بأمر سفري . يجب عليه تدريب بديلتي قبل يوم الاثنين . . موعد العرض .

زالت الضحكة من صوته :

ـ هذا أمر سهل أماندا . . دعي الأمر لي أما أنت فجهزي نفسك فسأكون عندك في تمام الواحدة لأقلك إلى المطار . .

ردت بصوت مليء بالتأثر :

ـ أنت عزيز كايس . . ولا أدري ما قد أفعل بدونك .

ـ ستعيشين لأنك لست امرأة ضعيفة أماندا ، وتذكري في الوقت عينه أن شقيقتك مثلك ، لذا ستنجو من الخطر وتعيش . .

هزتها ارتعاشة شوق وهمست بصوت أجش في الهاتف :

ـ كايس . . كيڤن . . هل نستطيع . .

وأسكتت نفسها ثم أردفت بهدوء :

ـ لا يهم . . أراك في الساعة الواحدة شكراً حبيبي .

تمتم : «لا مشكلة أماندا! لا تقلقي على شيء هنا . . سأكون معك في أسرع وقت ممكن» .

تساءلت بذهول : لماذا ذكرت له اسم كيڤن؟ أعادت السماعة إلى مكانها بيد مرتجفة . . ما الذي جعلها تذكر كيڤن؟

سارت الساعة من الحادية عشرة وما فوق ببطء لا يطاق . . وفي هذا الوقت وضبت حقيبة واحدة وضعتها قرب باب الشقة ، ثم استحمت وارتدت بزة خفيفة قطنية تنورتها طويلة ووضعت فوق ملابسها سترة متقنة التفصيل مصنوعة من القماش ذاته لها اللون نفسه . . ووضعت بعض الماكياج على وجهها أملاً في إخفاء بعض الإجهاد من وجهها ، ثم جلست تترقب وصول كايس بوجه هادىء من الخارج مع أنها من الداخل ترغب بيأس في الرحيل من هنا . . لتفعل شيئاً . . تريد أن تفعل أي شيء على البقاء هنا جالسة وسط التفكير والقلق والخوف . .

ما إن قرع الجرس حتى هبّت من مكانها متنفسة الصعداء . ويبدو أن كايس وصل قبل ربع ساعة من موعده فهرعت تفتحه .

لكن لهفتها سرعان ما خبت ، لأنها وجدت كيڤن عند عتبة دارها .

ـ مرحباً أماندا .

ـ كيڤن . .

ارتفعت يد مرتجفة إلى فمها لتخفي صوتها المخنوق الذي صدر عنها قبل أن تخز الدموع عينيها الواسعتين . . ثم ارتمت عليه تبثه بؤسها الذي كبته منذ تلقت المكالمة من اليونان . تلقاها كيڤن متمتماً . . وراح يضمها بشدة ويهزها كطفلة لأنه شعر بالعذاب الفظيع الذي يسري في جسدها النحيل .

أخذ بهدىء روعها بحنان زاد من كربها :

ـ لا بأس عليك . . لا بأس أماندا . . سيكون كل شيء على ما يرام . . سترين .

أثرت كلماته فيها فتعلقت به بدون خجل وسمحت له بإدخالها إلى الشقة وأقفل الباب وراءه . . كان يضمها إليه باكية .

أنهت قصتها شاهقة:

ـ أنا خائفة! آيرين كل ما لدي! لا يمكنني تحمل خسارتها! لا أستطيع..

ـ أنا زوجك.. أماندا.. سأكون دائماً موجوداً متى احتجتني.

كان فمه دافئاً على جبينها.. لكنها سرعان ما ابتعدت عن الجنة الدافئة:

ـ لا..

ردّت كلماته إليها ثقل الواقع أما هو فتركها متفهماً معنى الكلمة الوحيدة السلبية.

نظرت إليه بوجه متجهم وسألته: «لماذا.. لماذا أنت هنا.. كيڤن؟»

لم يرد للحظات.. عندئذ مسحت أماندا عينيها من الدموع بمنديل لئلا تضعف أمامه، ثم رفعت بصرها إليه.. عرفت من أنفاسه غير المستوية أنه يريد أن يتحدث عن أشياء لا تريد سماعها.. ليس الآن.. ليس وهي..

ـ اتصل بي كايس الذي ظن أنك ستكونين ممتنة لدعمي.. لذا ها أنا ذا. ولقد أكدت له أنني سأعتني بك خير عناية ريثما ينهي هو مشاكل خاصة بحاجة إلى العناية. هل هذه هي حقيبتك؟

ـ أرسلك كايس؟

ثم تذكرت ما كادت تقول له عبر الهاتف فتورد وجهها.. أفٍ لكايس.. إنه أدهى من أن تخدعه.. نظر إليها كيڤن مدققاً بتساءل عما يدور في هذا الرأس وعما جعلها تتورد هكذا... نظرت إلى الحقيبة التي أصبحت في يده:

ـ أجل.. أجل هذه هي.

أمسك ذراعها: إذن هلا ذهبنا! هل الجواز وكل ما تحتاجينه في حقيبة يدك؟

ـ أعتقد هذا.

ـ إذن فلنذهب.. سيارتي في الخارج.. يجب أن نتحرك إذا كنت تريدين السفر في الوقت المناسب.

لكن كلامه جعلها تقف مذهولة:

ـ أنت قادم معي إلى اليونان؟

تحولت العينان الصفراوان إلى لون عقيقي قاتم..

ـ أنت بحاجة لي أماندا.. قد لا تعرفين هذا لكنك بحاجة إلى من يساندك في هذه الفترة.

تغضن وجهها الشاحب مجدداً وفقدت مجدداً قدرتها في السيطرة على نفسها.. وامتدت يدها البيضاء المرتجفة بدون أن تعي لتلامس صدره.. لتتحسس ضربات قلبه المنتظمة.. لتشعر بدفئه وبالطمأنينة. ابتسمت بحزن وهزت رأسها باستسلام صامت.

همست بصوت ثقيل: «شكراً لك.. شكراً لك كيڤن».

ابتلع ريقه بحدة وقال وكأن محنتها تؤلمه:

ـ لا تشكريني.. لأنك غير مدينة لي بشيء.. بشيء أبداً.

أغمضت أماندا عينيها وأسندت رأسها إلى المقعد خلفها بطريقة أظهرت مدى إرهاقها.. أما كيڤن فقاد السيارة بصمت ومرت خمس دقائق تقريباً قبل أن تفاجئه بوضع يدها على ركبته:

ـ شكراً لك على أي حال كيڤن.. وجودك معي يعني الكثير لي.

لم يرد.. وكأن الموقف الجاد أزال كل خلاف بينهما وكان أن تقبل الهدنة بكل ما فيها من توتر.

كانت الرحلة طويلة ومتعبة.. ولم تستطع الطائرة الفخمة المريحة أن تجعل الساعات الخمس تمضي بسرعة ولكنهما حطا في المطار حيث سارت المعاملات بسرعة كبيرة فاسم فيرغوس قادر على إزالة أية عقبة مهما كانت، ثم لمّا خرجا من المطار وجدا طائرة باستقبالهما.

كان الظلام قد بدأ يرخي سدوله وبدت سماء اليونان في الساعة العاشرة ستارة من المخمل الكحلي القاتم المرصعة بالألماس.. كان الهواء دافئاً يداعب بشرة المرء كلمسات الحبيب، وارتجفت أماندا برقة بسبب الصور التي يرسمها الطيف الجالس قربها عن غير وعي منه.

سألها وقد لاحظ ارتجافها: «أتشعرين بالبرد؟»

هزت رأسها نفياً وابتسمت ابتسامة غريبة.

طوال الرحلة كان لطيفاً هادئاً يدخل الطمأنينة إلى نفسها ولكنه لم يحاول مرة أن يخرجها من شرودها أو يكلمها إلا إذا كلمته.. وظل موضوع الحديث بعيداً عن كل ما هو شخصي بينهما ولو من بعيد، واعتمدت على دعمه تقريباً بدون خجل وتعلقت به كطوق النجاة كما كان يوماً لها.

كانت يده ممسكة يدها الآن بخفة ودفء وقوة فشدت عليها بلطف تطمئنه أنها على ما يرام وظلت الكلمات بينهما قليلة. وأدركت أماني أن ترددها في الكلام هو تحضير ذاتها لما قد يقابلها.. فقد شغل قلقها على آيرين وبيدروس تفكيرها.. أما انهيارها أمامه في لندن فبدا أنه حدث منذ زمن طويل.

مرت السيارة برقة في المنتجعات المكتظة بالناس في «ايكسيا» و «ترياندا» ثم بدأت تتسلق بهما الطريق المحفور على جانب التل الصخري الذي يحجب بلدة رودس عن الأنظار.. كان البحر من جانب واحد ينكسر على الصخور بتكاسل.

حملتهما السيارة إلى الأعلى.. وأحست أماندا بمرافقها يتحرك إلى جانبها ولاحظت الاستغراب والشهقة التي ارتفعت منه ما إن رأى مدينة رودس القديمة أمام الأنظار.

وقفت قلعة رودس بكبرياء فوق تلة تكاد تصل إلى السماء، جدرانها الحجرية القديمة مضاءة بفخامة ملوكية.. قالت: هذا قصر «السيد

الكبير».. رودس مزيج ملون من دزينة مختلفة من الحضارات، بعضها قديم. ولكن جميع الحضارات تركت بصمتها على الجزيرة.

أبطأت السيارة سيرها عند مفترق طرق تتدفق فيه السيارات من مختلف الاتجاهات.. ثم انعطف السائق ببراعة ليقودهما إلى أحدث جزء في المدينة حيث توجد المستشفى.. غاب القصر مجدداً عن الأنظار وراء صفوف من الفنادق الحديثة والمقاهي المنتشرة على الأرصفة العريضة وعاد تاريخ المدينة القديمة إلى عصور غابرة أمام المباني الحديثة التي لا يتجاوز عمرها المئة عام.

سألت أماندا بلمسة مرح سريعة:

- جلبت معك آلة التصوير؟

رد مبتسماً: «وهل يمكنني التحرك بدونها؟»

تنهدت بأسى واعترفت:

- أحب هذه الجزيرة.. أحب ناسها وأساطيرها وجو الغموض السحري فيها.. وأحب رائحة زهر الليمون العابقة في هوائها والورود الحمراء الكبيرة التي أخذت اسمها منها لذا أكره العودة إلى هنا والحزن في قلبي..

اختنق صوتها وهي تردف:

- ما أكره الحزن والألم! ليتهما يختفيان إلى الأبد عن جميع خلق الله..

لم يقل كيڤن شيئاً لكن يده اشتدت على يدها فاطمأن قلبها.

قال السائق: «وصلنا سيدتي».

ما إن نظرت من النافذة حتى عاد التوتر إليها.

خرج كيڤن من السيارة أولاً ثم ساعدها على الترجل وسار معها نحو أبواب المستشفى.

همست بصوت ملؤه العذاب: لا أريد الدخول.

إنها تخاف ما قد يطالعها في الداخل . . . مرة أخرى وضع كيڤن ذراعه على كتفيها وشدها إلى دفئه ليدعمها ويسندها .

ما إن دخلت حتى كان أول شخص تراه ستيفانوس فيرغوس الذي بدا متعباً منهكاً . . ما إن وقع بصره عليها حتى ارتسمت ابتسامة متوترة على قسمات وجهه القاسية ودنا منها طويلاً شامخاً كأبنه المتكبر .

وصل إليها ليحتويها في عناق قصير :

ـ أماندا . . عزيزتي . . وصلت بسرعة .

سألت بخوف : «آيرين؟»

سارع يطمئنها :

ـ ما زالت معنا . . أما الطفل . . فقد رحل .

وخزت الدموع عينيها ولكن كيڤن أسرع إليها . نظر ستيفانوس إليه بفضول لأنه لم يعرف على ما يبدو شيئاً عن زواجها .

ـ كيڤن لوكهارت ، سيدي . زوج أماندا .

نظر إليهما ستيڤانوس مستغرباً وكأنه يتساءل لماذا لم يعرف بأمر هذا الزواج . . ثم صافحه بحزم :

ـ يسرني التعرف إليك سيد لوكهارت .

ثم عاد ليهتم بها : لم تستعد آيرين وعيها ، ولكن الأطباء متفائلون وهم يقولون إنها تجاوزت مرحلة الخطر الحقيقي .

سألت بلهفة : «وبيدروس»؟ .

انحنى رأس الرجل العجوز على كتفيه :

ـ استردّ وعيه . . لكنه . . حسناً . . تعالي سندخل لنراه . . إنه يتمشى في ممرات المستشفى كالمعتوه وهذا ما يقلقني . . هلا ساعدته وأدخلت الطمأنينة إلى قلبه . .

ساروا في ردهة المستشفى الهادئة ، يحيط بأماندا رجلين طويلين رشيقين . وأخذ الرجل العجوز يقول لها :

ـ تعرض بيدروس لبعض الجروح في وجهه . . أخبرك بالأمر لئلا تصابي بصدمة . . لكنها جروح سطحية ، إلا أن الارتجاج الذي تعرّض إليه الدماغ هو ما يقلق الأطباء خاصة وهو يرفض أن يستريح .

ما إن رأت أماندا جسم بيدروس فيرغوس الذي كان يدفن رأسه بين يديه حتى صرخت وهرعت إلى الأمام تاركة الرجلين يراقبانها بتجهم وهي تجثو على ركبتيها إلى جانب زوج أختها تحيطه بذراعيها بكل حنان .

كان مشهداً مؤثراً . . المرأة الشابة النحيلة تحتضن اليوناني الضخم إلى صدرها ، أما هو الذي كان في حالة يرثى لها من الكرب فأخذ يشدها إليه ويدفن وجهه في شعرها الأشقر . ظلا هكذا فترة يستمدان القوة من بعضهما بعضاً ، ثم رفع بيدروس رأسه وأخذ يتكلم بسرعة وألم إلى أماندا التي ظلت راكعة تتلمس جروح صهرها وهي تصغي إلى ما يقول .

لمس ستيڤانوس ذراع مرافقه وقال بهدوء :

ـ نحن متطفلان على ما أعتقد . . تعال سيد لوكهارت سنذهب إلى مكان نشرب فيه القهوة .

عندما ابتعدا وقف بيدروس متعباً وشدّ أماندا معه . . وسارا ببطء إلى الباب المغلق الذي تستلقي آيرين وراءه في سرير مرضها . . كان الواحد منهما متعلقاً بالآخر . . ولم يكن اليوناني المتشامخ يجد غضاضة في الاستناد إلى قوة المرأة الضعيفة التي تمسك به .

وقف بيدروس خلف أماندا وهي تتمسك بحديد قائمة السرير بقوة ، تنظر إلى آيرين الشاحبة الراقدة .

كانت ضمادة بيضاء سميكة تخفي شعرها الجميل وتغطي نصف وجهها ورأت إحدى ذراعيها ملفوفة باللصوق من الرسغ حتى الكتف ، فيما الأخرى تبدو ضعيفة مسترخية . . وكان قفص بلاستيكي يُبعد الغطاء عن ساقيها ، عرفت مما قاله بيدروس وهما في الممر أن ساقيها مصابتان كثيراً . . ولكنهما غير مكسورتين والحمد لله . .

قال بيدروس بصوت متألم: يعتقد الأطباء أن حالتها استقرت الآن، ولكنها اعتقدوا لساعات..

لم يستطع إتمام جملته وتكسر صوته، عندئذ مدت أماندا يدها وغطّت يده المستريحة على كتفها.

أضاف: لا يعرفون كم ستبقى غائبة عن الوعي.. تدل الكدمة على رأسها على ارتجاج في الدماغ ولكن جمجمتها سليمة من أي كسر وهم يرون أن سبب غيبوبتها هو رد طبيعي من جسمها ولتبقى هادئة حتى يتماثل جسدها للشفاء.

همست: «تبدو مريضة جداً.. وعاجزة».

ـ لكنها تقاوم.

أحس بيدروس أن أماندا بحاجة إلى ما يطمئنها.

ـ إنها قوية، لا تخاف حين تقاتل من أجل شيء تريده..

مضت ساعة قبل أن تترك أماندا سرير أختها ولم تبتعد إلا بناء على إلحاح صهرها الذي جلس على كرسي قريب من سرير زوجته ممسكاً يدها غير المصابة، أما أماندا فخرجت من الغرفة مرهقة.

في الخارج، كان ستيڤانوس فيرغوس ينتظر بمفرده.

نظرت إليه بعينين متعبتين ثم أجابها بلطف عندما سألته عن كيڤن:

ـ ذهب عزيزتي.. عاد إلى لندن.. يقول إن التزاماته تجبره على العودة. إنه زوج صالح أماندا.. وهو رجل يقدر مشاعر الناس.. يطلب منك الاعتناء بنفسك.

همست بصوت حائر: ذهب؟ كيڤن ذهب؟

سببت نظرة ستيڤانوس المتجهمة التي ملؤها الشفقة تفككها ونظرت إليه بذهول ثم أجهشت بالبكاء.

***

١٢ ـ البحث عن الشمس

مرت الأيام العصيبة الثلاثة ببطء شديد.. كانت الساعات تمر ببطء لا يطاق وعاشت أماندا في هذه الفترة بؤس الانتظار والترقب.

أمضى بيدروس كل أيامه في المستشفى مع زوجته، يجلس إلى جانب السرير، يتحدث إليها، ويقلق ويشتم راعداً بانفجارات عصبية، ثم ينام مضطرباً حين يجبرونه بالقوة على الاستلقاء في غرفة مجاورة.. فيما بينهما، كانت أماندا وستيڤانوس يتناوبان البقاء معه في المستشفى. أما السيدة فيرغوس فكانت تعتني بالصغير پيپر الذي هو أصغر من أن يفهم ما يحدث.. ولكنه كان يشعر بتوتر أقاربه ويعرف أن غياب والديه غير عائد إلى قيامهما برحلة عمل أخرى وكان يتعلق بأماندا حين تكون في الڤيلا.

قالت السيدة فيرغوس بحزن:

ـ السبب هو شبهك بأمه.. إنه يراها فيك لذا يتعلق بك.. الأطفال مخلوقات حساسة.. ونحن نميل إلى نسيان هذا وقت المحن.

كانت أماندا مضطرة إلى الاستكانة وعدم التفكير في الأسباب التي دفعت كيڤن إلى الرحيل.. وكأن صراع آيرين مع الموت عرّى كل تلك المشاعر، ولم تعد تعرف ماذا تريد أو ماذا تحتاج منه.. كل ما كانت تعرفه هو أن ذهابه ترك فسحة فارغة في داخلها، تجد صعوبة في التوافق معها.

استيقظت آيرين في اليوم التالي.

كانت أماندا معها، تجلس في الكرسي إلى جانب السرير.. تتحدث

بهدوء إليها وهي فاقدة الوعي تبثها همومها وأفكارها المرتبكة. كانت غارقة في ثرثرتها فلم تلاحظ الجفنين الشاحبين يرتفعان أو العينين الزرقاوين تحدقان إليها.

تناهى إلى مسامع أماندا صوت متلعثم:

ـ أماني.. ماذا تفعلين هنا؟

هبّت أماندا واقفة، وقالت باكية:

ـ آيرين! آيرين..

ثم انحنت تلثم الخد الشاحب الذي لم يضمد.

ارتفعت اليد غير المصابة إلى رباط رأسها:

ـ أين أنا؟ ماذا حدث؟ أين.. أين بيدروس؟ أماني...!

ارتفعت يدها لتمسك ذراع أماندا.. ثم نظرت بخوف أعمى بان في عينيها.

ـ... أين هو؟

ـ إنه بخير! بخير حبيبتي! إنه نائم في الغرفة المجاورة.. كنا قلقين عليك، وكم بذلنا من جهود ليلوذ إلى النوم. لكنه على ما يرام.

تمتمت آيرين: «.. انقلبت السيارة بنا».

ـ أجل حبيبتي.

وامتدت يدها خلسة إلى جرس الاستدعاء فوق السرير، قلقة لأنها رأت أن آيرين تحاول معرفة تفاصيل إصابتها.. ولا شك أنها ستسأل السؤال الحتمي بين لحظة وأخرى.. وهو سؤال لن ترغب في الرد عليه.

أضافت: وقعت الحادثة قبل أربعة أيام.

اتسعت عينا آيرين:

ـ أربعة أيام؟ كنت خلالها مستلقية هنا؟

ابتسمت أماندا مازحة:

ـ أجل، يا لك من امرأة كسول!

استرخت آيرين إلى الوسائد تغمض عينيها لحظة، تمرر لسانها على شفتيها الجافتين.. فضغطت أماندا على جرس الاستدعاء مرة أخرى بشدة وراقبت آيرين وهي تشحب مجدداً.. وتهمس:

ـ جرعة ماء..

ردت أماندا: «بالتأكيد».

كان عليها التفكير في هذا من قبل.. استقامت مبتعدة لتقدم لها بعض الماء.

ـ فقدت الطفل؟

ولم يكن سؤالاً.. بل تقرير أمر واقع.

ارتجفت يد أماندا:

ـ أجل حبيبتي.. وأنا آسفة.

عادت إلى السرير تدس يدها تحت كتفي أختها وترفعها لتشرب.. أذعنت آيرين ولم يبدُ عليها أثر للكرب.. ولكن عندما رفعت آيرين عينيها إليها، انفطر قلبها بألم بسبب نظرة البؤس التي علت وجهها.

قالت بضعف: أماني.. هلاّ استدعيت بيدروس؟

أعادتها أماندا بلطف إلى الوسائد وقالت بصوت مواسٍ:

ـ حالاً حبيبتي.

قبلت خدها مجدداً ووقفت.

كان بيدروس نائماً بكامل ثيابه على سرير المستشفى وشعره الأسود أشعث، وبشرته بيضاء تحت لونه الأسمر.. دنت أماندا منه بصمت ولامست كتفه برقة.

استيقظ منتفضاً وفتح عينيه الحمراوين ونظر إلى أماندا.

قالت بصراحة: «استيقظت آيرين».

هبّ عن السرير بحركة واحدة ولكنه ترنح قليلاً:

ـ يجب أن أذهب إليها..

أوقفته وهو يتحرك نحو الباب: «بيدروس.. إنها.. تعرف».

اكفهر وجهه المتعب وهبطت كتفاه للحظة ولكنه عاد فاسترد وعيه. ثم استقام وتحرك برشاقته العادية نحو الباب.

اتصلت أماندا بكايس بعد أسبوع من رحيلها.. وكان أول سؤال طرحه:

ـ كم سيطول غيابك؟

ـ وكم أعطوني فرصة؟

ـ أسبوعين.. يجب أن تشكري نجم سعدك حلوتي.. فبديلتك ليست على المستوى المطلوب.. مع ذلك أستطيع تمديد فرصتك أسبوعاً.

فهمت أماندا ما يرمي إليه.. فلو كانت بديلتها بارعة، لبقيت أماندا خارج المسرحية.. فعلى ممثل المسرح ألا يتعرض لمشاكل شخصية أثناء عرض المسرحية.. والواقع أنها أخلت بشروط العقد لذا كان يحق لهم قانونياً إبدالها نهائياً.

تحدثا قليلاً وكان كايس أكثر من راغب في سرد كل ما له علاقة بأخبار المسرح، ثم حين توقف قليلاً لبلتقط أنفاسه سألته بعفوية:

ـ هل رأيت العمة روزي؟

كرهت نفسها بسبب شوقها ويأسها لأخبار كيڤن.. ولكنها لم تستطع إخراجه من أفكارها منذ مجيئه إلى شقتها.. وكان رحيله السريع من المستشفى قد تركها مذهولة.. لقد كان كالرجل الذي وقعت في حبه أول مرة خلال رحلة العذاب، لطيفاً مراعياً لمشاعرها، يسهل لها الأمور قدر المستطاع.. ثم.. ذهب.

ران صمت قصير.. ثم قال كايس بطريقته الغريبة التي يستخدمها حين يعتقد أنك تعرف أمراً لا تعرفه:

ـ إنها في «ديڤون».. أرسلها كيڤن مع بعض أقرانها من العجائز في

عطلة أما هو فمسافر.. تعرفين أنها تكره البقاء بمفردها في ذلك المنزل الكبير، حلوتي! لقد حجز لأربعة عجائز في فندق ثم ترك لي أمر نقلهن إلى هناك. ألم يخبرك ذلك الشرير بالأمر؟ أعتقدت أنه عائد إلى لندن معك.. فقد كتب لي لائحة بطول الذراع بأسماء الأشخاص الذين يجب أن ألغي لهم مواعيده معه في الشهر القادم.. ليتني أستطيع السفر مثله..

حاولت أماندا فهم ما يقوله، إنه يبدو وكأن.. لا.. إنها تفهم أشياء من كلامه ليست موجودة فيه! إنها مجرد أمنيات! هل كيڤن في..

قالت بحذر: لم أشاهد كيڤن منذ وصولنا إلى هنا قبل أسبوع.

ـ لا؟ أمر غريب.. لقد وصلتني بطاقة بريدية منه بالأمس فقط يقول إنه يصور التاريخ وإن كاميرته تلتقط المشاهد بمفردها.. وقال إنه يفكر بتغيير اختصاصه والتوجه إلى تصوير المشاهد التاريخية بدل الوجوه.. قال..

همست بأنفاس مقطوعة: «ما زال معنا!»

سرت في أوصالها رعدة إثارة.

ـ لقد ذكر لي صهرك، وقال إنه استعار منه مركبه وإنه يفكر في القيام بجولة حول الجزيرة.

بيدروس يعرف أن كيڤن هنا! وقفت أماندا مشدوهة كعمود شمع، غير قادرة على فهم رأس اللغز من قدمه.

ـ قال..

ـ وداعاً كايس.. سأتصل بك، لأعطيك موعداً محدداً لعودتي.

ووضعت السماعة من يدها، تهتز كورقة شجرة.. تفكيرها يتطاير في كل اتجاه، تشعر بتعاقب الدهشة، والبهجة، والغضب، والشك.. مع إثارة صادمة أسرتها في دوار مربك إلى أن تقدمت السيدة فيرغوس لتربت كتفها مما جعلها تجفل.. وسألتها باستغراب:

ـ هل أنت بخير أماندا؟

ردت مترددة:

ـ أنا.. لا أظن هذا.. أنا.. أنا..

صمتت قليلاً لتجمع شتات نفسها.

ـ أتعتقدين أن پيير سينزعج إن تسللت إلى الخارج لساعة أو أكثر؟ أريد التحدث إلى بيدروس.

جاء الرد:

ـ لن يمانع بالتأكيد.. إنه الآن مع جده.. يصطادان السمك. لماذا لا تذهبين الآن؟ استخدمي السيارة ولكن رجاء قوديها بحذر.

ركضت أماندا إلى الباب وعيناها تشتعلان بطاقة لم تظهر فيهما منذ سمعت بحادثة أختها.

استغرقت الرحلة إلى رودس ساعة، فالطرقات في الصباح تزدحم.. في هذا الموسم يتنقل بيدروس من الفيلا إلى المدينة عن طريق البحر..

أوقفت السيارة قرب المستشفى، وسارت وهي تدرك أشياء لم تلحظها منذ وصولها إلى رودس الحبيبة: الحرارة على بشرتها، الشمس على شعرها الأشقر، الحيوية في خطوتها وهي تسير، وتدفق الدم في شرايينها.. فكرت بذهول.. لقد عدت إلى الحياة.. كيڤن هنا في رودس، لقد عدت إلى الحياة!

لكن ما إن دخلت إلى غرفة أختها الخاصة حتى تحوّلت إثارتها إلى قلق.. فدوافع كيڤن المحيرة أعادت كل دفاعاتها التي بنتها ضده في الأشهر الأخيرة.

سألتها آيرين: «ماذا تفعلين هنا اليوم؟»

كان بيدروس نصف جالس ونصف مستلقٍ على السرير إلى جانب زوجته.. يبدو متكاسلاً غير مهتم بالمشهد الحميم.

قالت أماندا ممازحة:

ـ أريد استعارة زوجك..

نظرت إليها آيرين بعناد: «فتشي عن رجل آخر فهذا الرجل محجوز».

امتدت يدها تمسك الذراع السمراء إلى جانبها بتملك فابتسم بيدروس ورفع يدها إلى شفتيه يلثمها.

بدت آيرين أفضل حالاً بكثير، فالضمادة أزيلت عن رأسها والكدمات خفت ولكنها ما زالت غير قادرة على تحمل أي وزن ثقيل على ساقيها، وستبقى ذراعها مضمدة لأسابيع.. لكنها تبدو أكثر فأكثر الأخت التي تحبها أماندا.

سألها بيدروس بتكاسل: «من أقلك إلى هنا عزيزتي؟»

ـ جئت وحدي.

ونظرت إليه بعجرفتها الخاصة، لأنها عرفت ماذا يدور في خلده.. لقد أصبح مجنوناً من فكرة قيادة السيارة منذ الحادثة.. فغير مسموح لأماندا أو لأمه بالجلوس وراء المقود.. حتى الآن، أذعنتا له لأنهما لا تريدان زيادة مخاوفه.

ـ رغبت في سرقتك من أختي فركبت المرسيدس وقدتها إلى هنا!

ـ للغداء؟

هزت رأسها بشوق:

ـ في تلك «التراڤيرنا» قرب ميناء «مندراكي».

كانت الموائد هناك منتشرة فوق المرجة حتى جدار الميناء، تظللها مظلات ملونة لإبعاد حرارة الشمس.

تنهدت آيرين متأسفة وقالت بصوت متذمر:

ـ أريد مرافقتكما.

قالت أماندا بحزم:

ـ لا يمكنك هذا.. أريد رجلاً.. ورجل واحداً فقط ينفعني.. لقد استأثرت به بما فيه الكفاية.

حاولت آيرين عدم التبسم: «لكنني أملكه!»

قال بيدروس بتكبر مزيف:

ـ عزيزتي.. لا أحد يمتلكني.

ارتدت إليه وقالت بتحد: حقاً؟

نظر إليها عابساً، أما أماندا فراحت تراقب تعابير وجهه تلين تدريجياً لتتخذ تعبيراً مختلفاً كل الاختلاف ثم لاحظت زوال الألم من عيني آيرين.. فقالت مازحة: «أعد أن أردّه لك حالما أنتهي منه».

تنازلت آيرين:

ـ حسناً.. في هذه الحالة..

قررا السير على الأقدام لأن المكان قريب.. بيدروس معروف كثيراً في الجزيرة لذا استغرقت المسافة وقتاً أكبر فكلما سارا خطوة كان يضطر للوقوف ليتلقى التهاني بنجاته من الحادثة والتمنيات للزوجة الجميلة بالشفاء.

ما إن وصلا «التراڤيرنا» حتى كانت أماندا تبتسم متعبة بسبب عدد المرات التي توقفا فيها. جلسا على مائدة منفصلة قليلاً عما تبقى من الموائد ثم سرعان ما جاء صاحب التراڤيرنا شخصياً ليصافح زائره بترحيب حار.

أخبرها بتعال: نحن شعب صادق منفتح القلب أماندا. انظري حولك وانظري كيف يتشبث مواطنيك الإنكليز بحقائبهم خشية أن يسرقها أحد.. مع أنهم هنا قادرون على ترك ممتلكاتهم الثمينة أمام الجميع وأضمن إذا ما اختفى شيء أن تنقلب الدنيا رأساً على عقب حتى يردون ما ضاع، أتعرفين؟ ليس لدينا سجن هنا.. إذا اضطرت الشرطة إلى حجز شخص ما ينقلونه بالطوافة المائية إلى «كوس»!

نظرت إليه بريبة ولم تكن واثقة إن كان صادقاً أم مازحاً.. المشكلة مع الغرباء.. تناست متعمدة أنها هي الغريبة هنا..

وبما أنها لم تكن واثقة من معلوماتها عن الموضوع، حولت دفة الحديث إلى الطعام:

ـ سأتناول إحدى السلطات الشهية التي تشتهرون بها.

قال بيدروس محذراً بحزم:

ـ ستأكلين ما يقدمه بالوس لنا.. أو حضري نفسك لعظة يونانية ملؤها الغضب.

ما وصل إليها كان حلماً فقد صفّ أمامها قطعة من لحم الضأن السميكة الندية التي وضع قربها الخضار المطهوة.. تلاها ألذ طبق حلوى ذاقته في حياتها! طبقات من قطع الدراق الطازج وآيس كريم على شكل سندويش بينها فريز طازج.. وكريما مخفوقة طازجة على قمة الطبق فوقها حبات الكرز..

شهقت أماندا: «لن آكل كل هذا؟»

قال بيدروس بعدم تصديق: سنرى.

وكان مصيباً وكانت مخطئة. كان يضحك عليها حين ارتدت إلى الوراء ممتلئة معدتها حتى التخمة ونظرت إليه بمكر:

ـ أنت شيطان شرير بيدروس فيرغوس. أخرجتك لتتناول غداء «خفيف» فإذا بك تحشوني بالطعام وكأنك تحضرني للذبح.

رفع نظره إليها بجد:

ـ ربما تخبريني الآن عزيزتي أماندا لماذا أبعدتني عن زوجتي الحبيبة.. هه؟

فقدت أماندا روحها المرحة كذلك.. فقد استحوذت الآن على كامل اهتمامه.. لم تعد متأكدة مما تريده منه.. جادلت نفسها: إن كان كيڤن في الجزيرة فلماذا لم يحاول الاتصال بها، إن هذا الأمر بحد ذاته رسالة.. أليس كذلك؟ وهذا ما جعلها منقسمة الرأي بين أن تسأله أم تمتنع عن السؤال.

تمتمت: أنا واثقة لو أنك جلست هنا بما فيه الكفاية لمرّ بك كل سكان رودس في النهاية.

- وهل تفكرين في الجلوس هنا لو ظننت أن شخصاً معيناً يمر بك؟

ماكر كالعادة.. لقد ضربها على الوتر الحساس بدون مراوغة. ارتدت تنظر إليه حزينة.. أيمر به شيء دون أن يشعر به؟

سحبت نفساً عميقاً عادت فزفرته ببطء، ثم قالت وهي تحاول إبعاد تفكيره عن أي شيء آخر:

- حين نفكر بكل التعقيدات التي وقعت وما كان يمكن أن يقع بسبب الحادثة يجب أن نحمد الله لأن آيرين ما تزال قادرة على الحمل مرة أخرى.

مرت بوجهه ومضة ألم..

ازداد صوته عمقاً وأصبح أكثر لطفاً:

- وهل أنت.. قلقة عليها، عزيزتي؟

عرف بيدروس أنها أدارت دفة الحديث بلباقة إلى اتجاه آخر.. فتنهدت باكتئاب:

- قلقت عليها فترة.. وهذه حالنا جميعاً.. لا.. كنت أحاول فقط المقارنة بأنانية، ولا علاقة لهذا بآيرين. لا بد أن زوجة كيڤن تحطمت تحطماً كاملاً بعدما دمرت عملية الإجهاض المتعمدة فرص الحمل مجدداً.. وأنا أشعر بعدم الراحة لأنه لزمني حادثة آيرين لأفهم هذا.. أفهم الآن لماذا كان كيڤن قلقاً على سوان.

قال بيدروس بحذر: «ماذا تحاولين القول أماندا؟ إنك الآن نادمة لأنك لم تسمعي دفاعه..».

قالت بقسوة:

- لقد سمعت دفاعه بيدروس.. ولكن ما قلته قبل قليل لا يغير واقع أنه فضّل سوان عليّ.. لدي مشاعري كما تعرف! ولن أقبل أن أكون الثانية بعد أية امرأة!

أخذ بيدروس وقته للإجابة وراح يتأمل القوارب والمراكب الراسية على رصيف الميناء، قبل أن يرتد إليها ويرد.

- هل تذكرين يا عزيزتي يوم زرتك في لندن وبحثنا معاً موضوع الرواية التي تلعبينها.

هزت رأسها: الزواج المدبر.

- لقد ذكرنا شيئاً عن مشكلتي في مواجهة موقف مماثل مع عائلتي المتمسكة بالتقاليد. المرأة الشابة التي كان أهلي قد اختاروها لي، سالي، كبرت وهي تتوقع أن تصبح زوجتي.. كنت بالنسبة لها من أملاكها مع أنها لم تكن تحبني!

هز رأسه بقسوة:

- كنت قاسياً، وقوياً، مستقلاً وهذا ما لا يصلح لها.. لأنها بحاجة إلى رجل تستطيع أن تحكمه.. طبيعتها غير بعيدة عن طبيعتي لهذا كنا نتصادم على عامة المستويات.. عندما ظهرت آيرين في الصورة ورأت أن ما تعتقده من ممتلكاتها يُسلب منها قاتلت لتتمسك بي بكل سلاح متوفر لديها.. ولم يهمها عدم كوني الرجل المناسب لها ولم يهمها رفضي إياها مهما كلف الأمر.. وانطلقت تفسد الأمور بيني وبين آيرين وكادت تنجح في هذا.. ولولا بعض الأمور التي لفتت اهتمامي لما تزوجنا أبداً. فقط ثبت إلى رشدي بعدما هربت آيرين إلى انكلترا، وتوسلت إليها أن تسامحني لأنني صدقت الأكاذيب التي لُفقت ولكن..

قاطعته سائلة: لا يمكنك مقارنة وضعك يومذاك بوضع زوجة كيڤن السابقة! فلم تكن سوان كورتيز بحاجة إلى الكذب والغش لتجعل كيڤن يأكل من يدها الصغيرة الحلوة.. ما كان عليها سوى أن تتلاعب على ضميره الحساس.

- لكن هل أنت متأكدة من أنها لم تكذب أو تغش ولم تستخدم كل الخدع المتوفرة لها لتفسد زواجكما؟

- لم أفكر في الأمر من هذه الجهة.

- إن أفراد عائلة هاموند لا يغفرون أبداً.. هل تركت لكيڤن فرصة

ليشرح لك لماذا امتنع عن إرسال أوراق طلاقكما حتى الآن.. لو كان يريد الزواج بها لما تأخر حتى هذا الوقت.

- ربما لم يعد راغباً في الشرح.. إنه هنا أليس كذلك؟ يستمتع بعطلة لطيفة في مكان ما من الجزيرة.. ولا يهتم أبداً برؤيتي!

قال بيدروس برضى:

- آه.. ! لكن لو مرّ بهذه المائدة بعد دقيقة وعرض عليك أن يشرح موقفه فهل ستقبلين الإصغاء إليه؟

تمتمت عابسة: ربما.. لو أراد كيڤن شرح الوضع لأصغيت إليه.. أجل..

- وستعترفين أنك مدينة له بتلك الفرصة.

- أدين له؟ أنا لا أدين له بشيء؟

- أنت مدينة له بالوقت عزيزتي، لقد تخلى عن وقته ليرافقك إلى هنا عندما احتجت إليه.. ومثل هذا الدين بحسب العرف اليوناني أمر لا بدّ من ردّه.

ردت ساخرة: «لكنني زوجته ولا أظن أن مرافقته إياي تضحية.. ولو افترضنا أنني مدينة له فأين هو لأردّ له دينه؟»

ابتسم بيدروس بسبب حدة دفاعها عن نفسها:

- ومن قال لك إنه ما يزال في الجزيرة؟

- كايس.. تكلمت مع كايس هذا الصباح.. وذكر لي هذا خلال الحديث.

- فهرعت إلي لتقولي لي إنك تغلبت على كبريائك العنيدة.

ضحك ضحكة مثيرة فأردفت غاضبة:

- لقد ذكر كايس شيئاً عن استعارته لمركبك، لذا افترضت أنك تعرف مكانه.

- لو كنت أملك هذه المعلومات فماذا ستفعلين بها؟

نظرت أماندا إلى المرفأ والثورة والغضب على وجهها.. ثم ارتدت تواجه صهرها:

- لو كان هنا لذهبت أبحث عنه.

- لماذا؟

ردت: «لماذا؟»

وتخلت عنها كل دفاعاتها، تاركة خلفها امرأة ضعيفة متألمة:

- لأنني.. لأنني بحاجة إليه.. لأنني.. أريد.. أريده.

اغرورقت عيناها الجميلتان الزرقاوان بدموع الضعف، وأضافت متمتمة: «لأنني.. أحبه».

مرت لمسة حنان على وجه صهرها وامتدت يده تضغط على يدها معتذراً. سألته همساً: «أين هو بيدروس؟»

اشتد اسوداد عينيه في وجه متجهم كئيب. انتظرت أماندا وقد توقف تنفسها.. أما بيدروس فبدا وكأنه يقوم بمعركة مع نفسه.. ثم هز رأسه وتنهد بعدم رضى.

قال أخيراً: «لا أستطيع إخبارك عزيزتي.. عندما قابلته لآخر مرة كان يفكر في ركوب الناقلة التجارية إلى كوس لقضاء بضعة أيام في زيارة الأماكن السياحية.. ولكنني سأقوم بتحرياتي أماندا.. وما إن أجده حتى أخبرك».

* * *

١٣ ـ من قلب البحر عاد

لكن . . عندما جاء كيڤن فاجأها كثيراً بحيث نسيت كل ما وعدت به صهرها عن الإصغاء إليه، والواقع أن الغضب والصدمة جعلاها أكثر ثورة ودفعاها إلى إهانته بطريقة لم تظنّ أنها قادرة عليها.

في الصباح التالي وبعد ليلة من الأرق ارتدت سروالاً وقميصاً وخرجت بصمت قبل أن يستيقظ أحد.

بدا الشاطىء الخاص رائعاً في مثل هذا الوقت الباكر من الصباح. . كانت الرمال تحت قدميها الحافيتين ساخنة، والبحر يهمس فوق رمال الشاطىء، ويشدها إلى أطرافه. . وقفت للحظات، تنظر إلى ما حولها برضى.

في الليلة الفائتة وصل بيدروس إلى البيت عن طريق البحر وها هو مركبه يتهادى وهو مربوط إلى الرصيف الصخري الطبيعي الذي حفرته الطبيعة، كان جزء من اليخت غير مرأي بوضوح ولم يكن يبدو منه غير مقدمته البيضاء، أما سائر أجزائه فمتوارية في ظل من صخور مرتفعة شديدة الانحدار. .

الهواء شديد السكون هذا الصباح لهذا وقفت أماندا تستمتع بالهدوء وترقب بابتسامة سمكة تتهادى بين الأمواج. . ثم طار طير كبير بصمت فوق رأسها، فرفعت رأسها تراقبه. . جعلها اتساع جناحيه تتساءل عما إذا كان أحد النسور المعششة في قمم تلال الجزيرة. . ثم سمعت رذاذ الماء

فارتدت لتنظر إلى الماء مجدداً بحثاً عن الدوامة التي يجب أن تظهر لترى أين قفزت السمكة هذه المرة، لكنها لم ترَ أي دليل وسط الخليج عندئذ أخذت عيناها تجوبان المنطقة الظليلة. .

في تلك اللحظة رأته. . يتحرك برشاقة ذهبية في المياه. . ثم رأته يخرج من الظلال من جهة اليخت إلى أشعة الشمس المشرقة.

إنه رجل! يقصد الشاطىء من جهة اليخت. . هل جلب معه بيدروس بدون أن يدري ليلة أمس متسلل؟ هذا أمر عجيب. . فاليخت كبير نسبياً للإبحار في النهار. . صحيح أن فيه مقصورة في الأسفل، ولكنها صغيرة ومعدّة لتناول الطعام، والأهم أن مقعدها الثابت الضيق لا يتسع للتمدد إن أراد أحدهم النوم عليه.

خرج من الماء وكأن هيليوس يخرج من البحر. . كانت المياه تتدفق من كتفيه وتنهمر على جسده الذهبي الرائع. شعره بني أحمر، موشى بالذهب. . عيناه كعيني أسد يريد الانقضاض عليها. علقت أنفاس أماندا في حلقها! إنه كولوسوس يقوم من مكان راحته ليأتي إليها. . استجاب قلبها بعنف وخفق بين ضلوعها.

همست بأنفاس ملؤها العذاب: «كيڤن».

لم يقل شيئاً بل تابع المسير وذقنه المربع مرتفع في خط عنيد. . وهذا ما جعل أماندا ترتد مجفلة كلما اقترب.

ـ ماذا. . ماذا تفعل هنا؟

إذا توقعت أن يوقفه السؤال، فقد خاب أملها لأنه لم يأبه البتة بل تابع المسير.

كانت تتراجع كلما تقدّم:

ـ أنت. . أنت. . نمت. . في اليخت. . ليلة أمس؟

لم يرد. لمّا وصل إليها توقف، يشرف عليها من فوق وكأنه عملاق غامض منتقم. أسرت عينا الأسد الضيقتان عينيها. فأدركت حتى قبل أن

ينحني أنه يهم بشيء ثم انحنى بسهولة أثارت غضبها ورفعها عن الأرض ورماها فوق كتفه.. وقبل أن تناح لها فرصة فهم ما يحدث بدأ يسير فوق الرمال الفضية الناعمة متوجهاً ناحية المرفأ.

قاومته وصاحت: «كيڤن! ماذا تفعل؟ كيڤن!»

لكنه لم يظهر دلالة على أنه سمعها وتابع المسير.

ـ أنزلني!

عندما رفست بقدميها وجدتهما عالقتين مشدودتين على جسمه، وتابع سيره كأنها غير موجودة.. فضمت يديها تضربه بقوة على ظهره بلا جدوى، عندئذ تضاعف غضبها وسخطها.

قالت تحذره:

ـ كيڤن.. إن لم تنزلني حالاً فسوف.. فسوف أبدأ الصراخ! ولسوف يسمعني كل من في القيلا فيهرع إليّ!

تحداها صمته أن تنفذ تهديدها! فتحت فمها لتصرخ صرخة حادة مزعجة فاجأت فيها نفسها! لكن لا فائدة إذ استمر كيڤن في سيره الثابت متجاهلاً إياها. شعرت باهتياج مخيف يسري في دمها، فكل ما يجري ينذر بالشر..

وصل بها إلى الرصيف فتابع سيره، واقترب إلى الظل حيث لم تصل الشمس ثم اقترب من على اليخت.. بدأت أماندا بالمقاومة مرة أخرى، فحاولت بذعر الخلاص من قبضته واحترق وجهها من الغضب والإذلال.. وصاحت مجدداً بصوت مرتفع وطويل فترك كيڤن ساقيها وصفع مؤخرتها بشدة.

صاحت: «أوه.. سأقتلك بسبب هذا كيڤن لوكهارت!» ضربته بقبضتيها مجدداً.

ـ أكرهك.. أكرهك!

لم يرد، بل وصل إلى اليخت وصعد إليه بخفة، عندئذ ترنح المركب

قليلاً. ثم تابع نزول الدرجات القليلة نحو المقصورة الصغيرة، وهناك أنزلها عن كتفه ولكنه جعلها تلتصق به وراحا يتبادلان النظرات... كانت عيونهما تكشف عن تعابير مختلفة: عيناها غاضبتان ساخطتان، وعيناه باردتان ملؤهما العزم والتصميم.

تركها في الغرفة وهي تبتعد عنه في المكان الضيق وشعرها يتطاير ووجهها أحمر قاتم.. ثم انحنى انحناءة ساخرة جعلتها تكشر تكشيرة حيوانية ولكنه لم يأبه لما رآه وأقفل الباب وراءها.

قفزت إلى الباب مجدداً:

ـ ماذا تفعل؟ كيڤن!

وضربت الباب بقبضتيها.

سمعت خطواته فوق على سطح المركب، فارتفعت عيناها ولحقتا بحركته ثم ران السكون عندما كتم الصمت أنفاسها في حلقها ثم سمعت صوت المحرك الأجش يدور..

إنه يخطفها! أدركت هذا والإحباط يلفها ولكنها تجاهلت رجفة الإثارة التي أثارها تصرفه الوحشي، فلدى ذلك الوحش الفظ المتعجرف الجرأة على الظن.. ضربت الأرض بقدمها بثورة طفولية:

ـ كيڤن لوكهارت.. انزل إلى هنا وأخرجني حالاً!

ولكن المركب راح يشق عباب البحر.

أسرعت تنظر إلى الخارج ثم اندفعت أصابعها تعبث بذعر في الأكرة لتفتحها.. ثم عادت إلى الباب ترمي بثقل جسمها عليه وتصيح بمزيد من اللعنات والإهانات حتى انهارت منهكة على المقعد وجسمها يسنحم بالعرق، وحنجرتها جافة من كثرة الصراخ.

صاحت لآخر مرة بصوت حاد:

ـ لن أسامحك على هذا! انتظر إلى أن يلحق بك بيدروس..

فيما بعد لم تستطع أماندا تحديد ما زاد سخطها وضاعفه.. هدوؤه

في خطفها، أم الصمت الرهيب الذي يتلاعب بأعصابها ويتلفها.. لم تكن خائفة على حياتها أو خائفة من الاختطاف بحد ذاته.. بل الواقع أن ما حدث أمر مثير. ولكن بعد مضي الوقت ومتابعة المركب سيره حول الجزيرة وبسبب صمت الرجل الذي يقوده تعلمت معنى «الإنهاك الفكري».

كانت جالسة بهدوء على المقعد الخشبي حين توقف اليخت أخيراً وصمت المحرك، وسمعت صوت المرساة تشق الماء.. ثم نزل كيڤن ليفتح الباب.

قال بقسوة: «تعالي.. هيا.. اخرجي».

قالت ساخرة رافضة الإذعان بتحدٍ:

ـ إذن تعرف كيف تتكلم؟ اذهب إلى الجحيم!

أصبح على مقربة شديدة ثم انتفضت وانسلت من بين شفتيها شهقة مخنوقة لأن يديه هوتا على كتفيها تشدانها بقوة لتقف.

رد بصوت فظ: «أنا أتكلم! والواقع أنه لم يمرّ عليّ زمن طويل منذ خرجت من الجحيم.. لذا لن أعرف الفرق. ولذا لا تثيري أعصابي.. لأن كولوسوس هذا ركع على ركبتيه لفترة ولكنه على عكس الآخر وقف ليقاتل مجدداً.. فلو كنت مكانك لبلعت لساني الحلو السليط وإلا عرفت النتائج».

ـ من أعطاك الحق أن..

صاح مشيراً إلى الباب:

ـ أخرجي! إلى الخارج!

خرجت أماندا خشية أن يستخدم قوة ذراعه إذا تحدته ثانية.. لكنها رمته بنظرة شرسة قبل أن تتحرك ورفعت رأسها بتعال، ثم ابتسمت مسرورة من نفسها عندما تلقى صفعة من شعرها الذي تطاير على وجهه المتعجرف.

اشتدت حرارة الشمس التي ارتفعت في كبد السماء.. لذا عندما خرجت أماندا إلى السطح شعرت بحرارتها تحرق بشرتها وجعلها وهجها تغمض عينيها حتى تعتاد عليه.. كان قد أوقف اليخت أمام فم خليج يستحم في الشمس. الصخور المحيطة به صخور مرتفعة ملساء والشاطىء مترام..

جاءها الصوت المتسلط من ورائها:

ـ حسناً.. سأبدأ أنا بالكلام وعليك الإصغاء.. هل فهمت؟

ابتلعت ريقها وهزّت رأسها.

هز رأسه هو أيضاً ووقف بعيداً عنها وقفة أرهبتها:

ـ أريد أن أشرح أمر سوان.. أنها..

ـ لا!

خرج الرفض منها بدون أن تستطيع منعه.. فطافت نظرته عليها بشكل مهدد.

ـ خلت أننا متفقان على..

ـ أجل.. إنما لا أريد سماع شيء عن زوجتك السابقة.. قل لي شيئاً واحداً فقط وليبقى ما سواه مدفوناً في أعماقك.

تردد.. عرف كما عرفت أنها ليست في موقف يسمح لها بفرض ما تريد.. ثم هز رأسه بتجهم:

ـ حسناً اسألي ما شئت.

ـ هل أنت هنا لأنه ثبت لك أن مشاعرك نحوي هي أقوى من مشاعرك نحو سوان كورتيز.. أم لأنها نبذتك مجدداً؟

ترقبت رده بعينين شاخصتين.. ففكرت وأنفاسها مقطوعة أن تهرع إليه وترتمي عند قدميه. ارتفعت يده نحوها ثم هبطت ثم ما لبثت البسمة أن خبت على وجهه وقال بصوت أجش:

ـ لم أرغب قط وما زلت أمقت الساعة التي مررت فيها بعد ذلك

الموقف! لقد عرفت أيهما أهم عندي حتى وأنت تخرجين من غرفة الاستقبال ذلك اليوم.. راقبتك تنزفين حتى الموت أمامي، ولم أستطع القيام بما يوقف ذلك النزيف! وقفت أراقبك وأنت توضبين حقائبك وتزيلين أي دليل يدل على وجودك هناك.. وأردت أن أجثو على ركبتي متوسلاً غفرانك.

ـ ولماذا لم تفعل؟

ـ كان الوقت متأخراً.. أليس كذلك؟ والواقع أنني تأخرت منذ اللحظة التي تركت سوان تؤثر بي بـ..

قاطعته: طلبت منك عدم ذكرها.. فلست من النوع الذي يستمتع بمعرفة أنها الثانية في أي شيء كيفن.. لذا حذار لأنني لن أسمح لاسمها بالمرور عبر حنجرتي.

انتفض عرق في فكه:

ـ حسناً.. أتقبل هذا.

فهو الذي وضع فيها هذه المشاعر عندما استخدم سوان سلاحاً يجرحها فيه.

أردف: ثبت إلى رشدي متأخراً وكان الوقت قد فات على القيام بما ينقذنا من الكارثة التي اندفعت إليها بكل غباء.

هاجمته بقسوة: «وهل حاولت؟»

ـ أوه.. أجل.. كم حاولت.. مع أن ذبحك إياي في المطعم كان انتقاماً، انتقاماً حققته وفي مكان علني جداً.. أليس كذلك أماندا؟

كان ذلك المشهد مسيلاً للعاب المراسلين الذين كتبوا وأطنبوا عنه في الصحف. أضاف بوجه متجهم:

ـ بعد ذلك استنتجت أن لا فائدة من المحاولة مجدداً.. فمما رأيته منك تبين لي أنه لم يبق في قلبك مكان للغفران.. ولي كرامتي كما تعرفين!

سألت بحيرة: إذن ماذا تفعل هنا؟ ما دمت مؤمناً بأن لا جدوى؟

ـ آه.. هذا موقف مختلف.. أنسيت أنك طلبت رؤيتي..

أجل.. هذا ما فعلت. لقد نسيت كل هذا أمام طريقته القاسية الفظة التي أوصلتها إلى المركب.. تحركت منزعجة تحت نظرته المشبعة بالتحدي.

ركزت عينيها الزرقاوين عليه تتحداه:

ـ ولماذا استخدمت طريقة رجل الكهف؟

ابتسم وارتفع حاجباه بحيث بدا وجهه ساحراً سحراً شيطانياً.

ـ ألم أحقق المراد منها؟ لقد أوصلتك إلى حيث أريد بأقل مجهود ممكن. عليك أن تفهمي هذا أماندا.. فما رأيته أنموذج عما أنوي الاستمرار عليه منذ الآن فصاعداً.. مشكلتي معك أنك تعيشين في عالم خيالي زائف.. لذا لا أستغرب أن تكوني ناجحة في المهنة التي اخترتها خاصة ولك مخيلة خصبة تساعدك كثيراً.. ولكنها ترهق الناس الذين يقتربون منك.. هكذا.. هذا المخلوق..

وأشار إلى نفسه متجاهلاً تشنجها بسبب انتقاده إياها.

ـ قرر أن يتسلق إلى عالمك.. فأنا لا أرى طريقة أخرى للوصول إليك.. وها أنذا أقف أمامك.. لقد نهض كولوسوس فالآلهة لا تقبل بالعبث من نسائهم.. إما أن تسيري على الخط المستقيم وإما أن أقسو عليك... المسألة بسيطة.

وقفت أماندا مذهولة من عجرفته، مذهولة من تحليله الدقيق لها، ولكنها كانت تغلي غضباً لأنه قال إنها ستسير على الخط المستقيم معه ومع طلباته الديكتاتورية.

سحبت نفساً غاضباً:

ـ يا الله! لو كنت رجلاً..

ـ ليت صهرك اليوناني معك؟

ـ سيرميك بيدروس من فوق المركب إن عرف كيف عاملتني اليوم!

ـ بيدروس، عزيزتي أماندا.. ساعدني لتحضير هذا!

انتهى الأمر.. وأنزلت كل أشرعتها.. فالرجال كلهم سواء! كلهم خونة حين تجربهم المرأة! هزت رأسها قرفاً، فابتسم لها كيڤن بمكر.. بدا مسترخياً جداً بل متكاسلاً حتى.. عندئذ صاحت صيحة غضب وطارت إليه تسبب له بقدر ما يمكنها من جروح بأظافرها قبل أن يمنعها بقوته المتفوقة.

لكنه كان أسرع منها، فقد التقطها ما إن وصلت إليه ورفعها عالياً ثم رماها بكل هدوء عن جانب اليخت، بحيث حطت وسط فوران مائي في المحيط الأزرق وغاصت ببطء إلى القعر، ولكنها ما لبثت أن جمعت قواها بما فيه الكفاية وعادت إلى السطح.

حرّكت مجدداً يديها وقدميها لتستطيع التنفس ثم لما أصبحت على سطح المياه استندت بعفوية إلى سياج المركب وراح يضحك عليها.. وسألها:

ـ أنت تعرفين السباحة أماندا.. أليس كذلك؟

أسبح! سأريه كيف أسبح!

ارتدت بسرعة وانقلبت لتغوص مجدداً نحو الشاطىء ثم سبحت تحت الماء أكثر من دقيقة قبل أن ترتفع لتسحب نفساً.. ثم راحت تضرب المياه ضربات خبيرة وكانت تهدف بذلك إلى التنفيس عن غضبها أكثر من إظهار براعتها في السباحة.

أصبح قربها قبل أن تصل إلى المياه الضحلة.. فنظرت إليه نظرة تريد أن تغرقه فيها.. لكنها لم تنجح، فكما قال لقد انضم إلى عالم الخيال.. ولا يمكن تدميره بسهولة.

امتدت يداه حول خصرها ليساعدها على الوقوف، وظلّ يمسك بها وهي تناضل لتلتقط أنفاسها وكانت أنفاسه هو ثقيلة.

بدا في تعابير وجهه إلحاح وضعها في موقع الهجوم مجدداً.. كانت عيناه الصفراوان تومضان بشكل غريب، ورأت شوقاً أحمر يتصاعد إلى خديه.

قالت بصوت لاهث:

ـ أكرهك.. أكرهك.. كيڤن.. كيڤن لوكهارت! ما أنت إلا..

ولكنه غطى شتائمها بيده الرطبة ثم ما لبثت ذراعاه أن أطبقتا عليها بقوة، وراحت يداه تدفعان ظهرها لتلتصق به.. عندئذ.. عندئذ ضاعت أماندا..

جاء استسلامها هادئاً أما أحاسيسها فكانت يائسة شوقاً إليه لذا تسارعت في شرايينها تحرق كل مكان تمر به.

تمتم بصوت أجش:

ـ أنت لا تكرهينني أماندا.. بل تحبينني.. تحبينني.

حاولت الخلاص منه وهي تنكر: لا!

ـ بل تحبينني! وطالما أحببتني وستبقين على حبي حتى لو افترقنا.

إنه على حق! اعترفت بهذا بينها وبين نفسها..

أضاف آمراً: «قوليها أماندا.. قوليها بحق الله! وأخرجينا معاً من هذا البؤس!»

قالت بصوت مخنوق: «أحبك!»

ودفنت وجهها في كتفه لتبكي بكاء صادقاً فضمها إليه أكثر وأكثر، وانخفض رأسه بلطف فوق رأسها، وارتجف جسمه الضخم.

ـ أتعودين إليّ أماندا؟

لم ترد بل دفعت وجهها إلى صدره.. فحثها مرة أخرى.

ـ عودي إليّ.. وأعد أن أمضي عمري كله وأنا أثبت لك مدى حبي.

شخرت بأنفها:

ـ حتى.. حتى تظهر.. سوان كورنيز مجدداً.

تنهد: «باتت سوان خارج مسؤولياتي.. لقد لقنتني درساً مؤلماً آخر مرة، وأنا عادة لا أحتاج إلى تعلم الدرس مرتين».

ـ وكيف أثق بما تقول؟

ـ قلت إنك لا تريدين سماع اسم سوان.

ابتعدت عنه قليلاً، وتركها تبتعد.. كانت الأمواج تتدافع حتى ركبتيها باردة وتمتمت: «أخبرني».

ترددت حتى الآن لسماع اسم الفتاة الأخرى.

ـ طلبت منها بوضوح كامل أن تخرج من حياتي وتذهب إلى الجحيم.. وذهبت.. إنما ليس قبل أن تخبرني أنها قصت عليّ جملة أكاذيب.. لقد طلبت تلك الفاسقة بنفسها قطع الأنابيب لتصبح عاقراً عندما أجروا عملية الإجهاض، كما أخبرتني أن ذلك الإيطالي لم يكن يريد الزواج بها بل رماها بعدما شبع منها.. ثم عرفت بخبر زواجنا في الصحف فقررت إفساده بكذبها.

تنهد: وهذا مختصر آخر مرة رأيتها فيها.. أعد أنها لن تزعجنا مرة أخرى..

أخذت راحتا يده تتلمسان عن غير وعي منه كتفي أماندا.. ثم أضاف بسرعة:

ـ يجب أن أقول لك أماندا إنني لم أستطع التخلي عنها بدون أن أقدّم لها شيئاً.. لقد أسست لها محلاً في نيويورك.. بوتيك فاخر سمعت أنه معروض للبيع.. آخر ما سمعته أنها تستمتع بكل دقيقة فيه، وقد نجحت نجاحاً كبيراً.. واجتذبت الأثرياء إليها.. وإن كان هناك ما يجب الاعتراف لها به فهو عينها الثاقبة في اختيار الأزياء.

رفعت وجهها إليه: «حسناً.. سنعترف لها بهذا».

همس: تعرفين أنني أكره أن أراك باكية.. فلماذا لا تستسلمين وتقولين لي إنك عائدة إليّ، إلى حياتنا الزوجية؟ وبهذا لن يكون لك عذر

للبكاء.

ـ أيها الشيطان المتعجرف.

لكن ابتسامتها كانت صافية أخيراً. تُظهر له ذلك الحب الذي لم يجرؤ على الظن أنه سيراه مجدداً في عينيها الزرقاوين الصافيتين.

ـ حسناً.. سأعود إليك على شرط واحد..

أجفل العملاق الذي نظر إليها عابساً، ثم تنهد:

ـ حسناً.. أقبل به، فما هو؟

ـ أن تحملني إلى اليخت لتكفر عن رميك إياي عنه! فأنت من ادعى أنك انتقلت إلى عالم الآلهة الخيالي!.. كان كولوسوس الأصلي سيحملني بسهولة.

ارتدت خائفة حتى وهي تمازحه وكانت عيناها تبرقان بمكر شرير.. أماندا القديمة بارزة بكامل جمالها الأخاذ.. وشعرها كالساتان الأصفر ملتصق برأس كامل الشكل وخداها مشرقان وثغرها أحمر مكتنز الشفتين.

لوحت باصبعها في وجهه:

ـ هذا شرطي.. أنت من قلت إنني أريد إلهاً لأحبه..؟

راح يخوض البحر الأزرق البارد متوجهاً إليها وكانت على وشك أن تستدير وتبدأ السباحة حين أمسك بها، فصاحت برعب وهو يرفعها ليضعها فوق كتفيه، متجاهلاً تمسكها بشعره وكيفية صراخها كي ينزلها.

قالت تتوسل:

ـ أنزلني الآن كيڤن.. أسحب شرطي. سأعود إليك في كل الأحوال حتى وإن لم تكن مثل كولوسوس.

كان على وشك أن ينزلها ولكن لمّا سمع كلماتها الأخيرة غير رأيه واشتدت قبضته على كعبيها وتابع تقدمه وسار بنفسه إلى تحت الماء، فتصاعدت إلى نفسها موجة من الذعر الحقيقي فأرادت الخلاص لأنها تخشى أن يتهور قبل أن يعترف بالهزيمة، وتركت نفسها ترتمي إلى الأمام

في الماء ليضطر إلى تركها.

صعد رأسيهما إلى فوق الماء في الوقت ذاته وعادت أماندا إلى ما بين ذراعيه.. وقال:

ـ أحبك أماندا.. أحبك..

ارتفعت يدها تغطي فمه:

ـ لا! لا داعي للكلمات حبيبي.. لا داعي إلى الكلمات.. لا أحتاجها.. أحتاجك أنت فقط!

كانت راضية حتى قبل أن تسمع هذه الكلمات.. وها هي الآن أكثر رضى لأنها سمعت هذه الكلمات.. فقد عرفت دوماً أن كيڤن يحبها.. لكنه احتاج إلى وقت ليتقبل هذا الواقع.. هذا كل شيء.

سبحا إلى اليخت معاً ولكن كيڤن رفع نفسه من الماء أولاً، ثم ارتد ليساعد أماندا على الصعود. قال لها ما إن داست قدمها السطح الخشبي:

ـ هناك ما أريد أن أريك إياه.

وأخذ يدها وساعدها على نزول درج المركب ثم تركها لينحني تحت المقعد حيث التقط لفافة أعطاها إياها بكل وقار:

ـ افتحيها.. إنها لك.

فتحت الهدية الملفوفة بأنفاس مقطوعة فلما رأت العلبة توقفت أصابعها وراحت تلمس العلبة المألوفة لها.. نظرت إليه بتساؤل.. لكنه وقف يراقبها بوقار، فأجبرت نفسها على النظر إلى المحتوى.

إنه تمثال برونزي مطلي بالذهب، تمثال كولوسوس.. حملته أماندا بحنان بين يديها فقلبته يمنة ويسرى وقلبها يعج بآلاف المشاعر.

سألت بصوت أجش: «التمثال ذاته؟»

هز رأسه:

ـ أصلحه زاكاري كافالوس.. واقترح أن أشتري واحداً جديداً.. لكنني أردت هذا بالتحديد، بعنقه المكسورة.. إنه لك أماندا.. أصلحته

لأرده إليك.

خنقتها العبرة وراحت يداها ترتجفان فوق التمثال الجميل

ـ لا كيڤن.. إنه تمثالك.. لقد اشتريته لك..

قاطعها: يجب أن أستحقه مرة أخرى.. وأريد أن أستحقه بصدق هذه المرة.

أعادت التمثال إلى صندوقه ورفعت نظرها إلى كيڤن:

ـ إذن هو ليس لأي منا بل ربما لم يكن لنا أصلاً.. ربما كنت مذنبة عندما توقعت منك أن تكون شخصاً آخر.. أنا آسفة لهذا كيڤن.

اهتز جسم كيڤن بتنهيدة انفعالية:

ـ سنضعه في مكان شرف في شقتنا حين نعود.. كتعبير عن حبنا.

تمتمت: «فكرة رائعة».

ذابت بين ذراعيه ولكنها فكرت في سرها: على أي حال كولوسوس الأصلي هو ملكٌ للشمس والسماء والناس في رودس، وهي لديها زوجها.. لقد حصلت على نسختها بين ذراعيها، وهذه النسخة مرغوبة أكثر من التمثال المنحوت.

***